



مجلة فصلية متخصصة تصدر عن مركز الأمة للدراسات والتطوير

العدد الأول

محرم ١٤٣٠ هـ - كانون الثاني ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

أحمد الفياض

نائب رئيس التحرير

حامد الحزرجي

مدير التحرير

حسين الرشيد

مستشارو التحرير

عبد المنعم جمعة

د. حاتم المفرجي

د. عمار عبد الكريم

المحررون

عبد الستار أحمد

د. عبد القادر محمد

محمود مهدي

الإخراج الفني

سيف الجبوري

Mobile: (+964) 7810801021

Mobile: (+201) 74876011

Telefax: (+202) 37619596

E.mail: editor@hadharamagazine.net

نقال: ٧٨١٠٨٠١٠٢١ (+٩٦٤)

نقال: ٧٤٨٧٦٠١١ (+٢٠١)

تليفاكس: ٣٧٦١٩٥٩٦ (+٢٠٢)

البريد الإلكتروني: editor@hadharamagazine.net

الآراء الواردة في البحوث والمقالات المنشورة تعبر عن آراء كاتبها

شروط النشر في المجلة وضوابطه

١. أن تراعي البحوث والدراسات والمقالات المراد نشرها في المجلة الالتزام بالأهداف العامة لمركز الأمت للدراسات والتطوير.
٢. الالتزام بالمنهج العلمي الأكاديمي في توثيق البحوث والدراسات والمقالات المنشورة توثيقا علميا، وذلك بإيراد المصادر والمراجع وفق معلومات النشر المتعارف عليها.
٣. ألا تكون المواد المرسلّة للنشر في المجلة قد نشرت أو أرسلت للنشر في مكان آخر.
٤. إرسال نصوص البحوث والدراسات والمقالات وغيرها بواسطة البريد الإلكتروني إلى مدير تحرير المجلة وعلى عنوانها البريدي المعلن على صفحات المجلة.
٥. أن لا يزيد حجم الدراسة أو البحث عن خمسة عشر صفحة (A4) كحد أقصى، وأن لا يقل عن عشر صفحات، وأن لا يزيد حجم المقالة عن خمس صفحات ولا يقل عن ثلاثة.
٦. تنشر المجلة تقارير تغطية المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية ومراجعات الكتب، على أن لا يزيد حجم التقرير عن صفحتين (A4) وأن لا يقل عن صفحة واحدة، وأن يلتزم كاتبه بإيراد أهم المعلومات.
٧. لا تدفع المجلة أية مكافآت نقدية عن البحوث والدراسات المنشورة فيها. وتعتمد على تعاون الباحثين والدارسين من أجل تأدية رسالتها في خدمة الأهداف التي أسست من أجلها.

في هذا العدد

- افتتاحية العدد ٥
- أبحاث ودراسات
- منهج لفهم الصراع مع الصهيونية - د. محمد مورو ٩
- رحيل بوش.. خيارات أوباما وخيارات المقاومة - طلعت رميح ٢٩
- ماذا في انتظار الرئيس - محمد رشيد ٥٣
- مقالات
- الولايات المتحدة الأمريكية.. بعض مفاهيم القوة وموجباتها - د. رافع الفلاحى ٨٩
- بين نهاية التاريخ ونهاية أمريكا - أحمد هواس ١٠٥
- ملف العدد / آثار الاحتلال الأمريكي للعراق
- نظرة اقتصادية للاحتلال الأمريكي للعراق.. الأسباب والنتائج - عبد الستار أحمد ١٢١
- آثار الحروب والاحتلال على اللغة العربية.. العراق نموذجاً - د. أحمد قاسم كسار ١٤٣
- اغتيال الكفاءات العراقية.. تراجع علمي ومستقبل مجهول - حسين الرشيد ١٧٣
- تقارير واستطلاعات
- أمريكا وتحديات ما بعد العراق - تقرير مترجم ٢٠٥
- وثائق / فتاوى حول الاتفاقية
- فتوى هيئة علماء المسلمين في العراق ٢٣٧
- فتوى الشيخ عبد الكريم زيدان ٢٤٣
- فتوى الشيخ عبد الملك السعدي ٢٤٥
- نشاطات مركز الأمة للدراسات والتطوير
- قسم الدراسات يعقد جلسته الحوارية الأولى ٢٥١
- مركز الأمة ينظم محاضرة وورشة عمل متعلقة باللغة العربية ٢٥٧
- مركز الأمة يستضيف الدكتور حاكم المطيري في محاضرة علمية ٢٦١

افتتاحية العدد

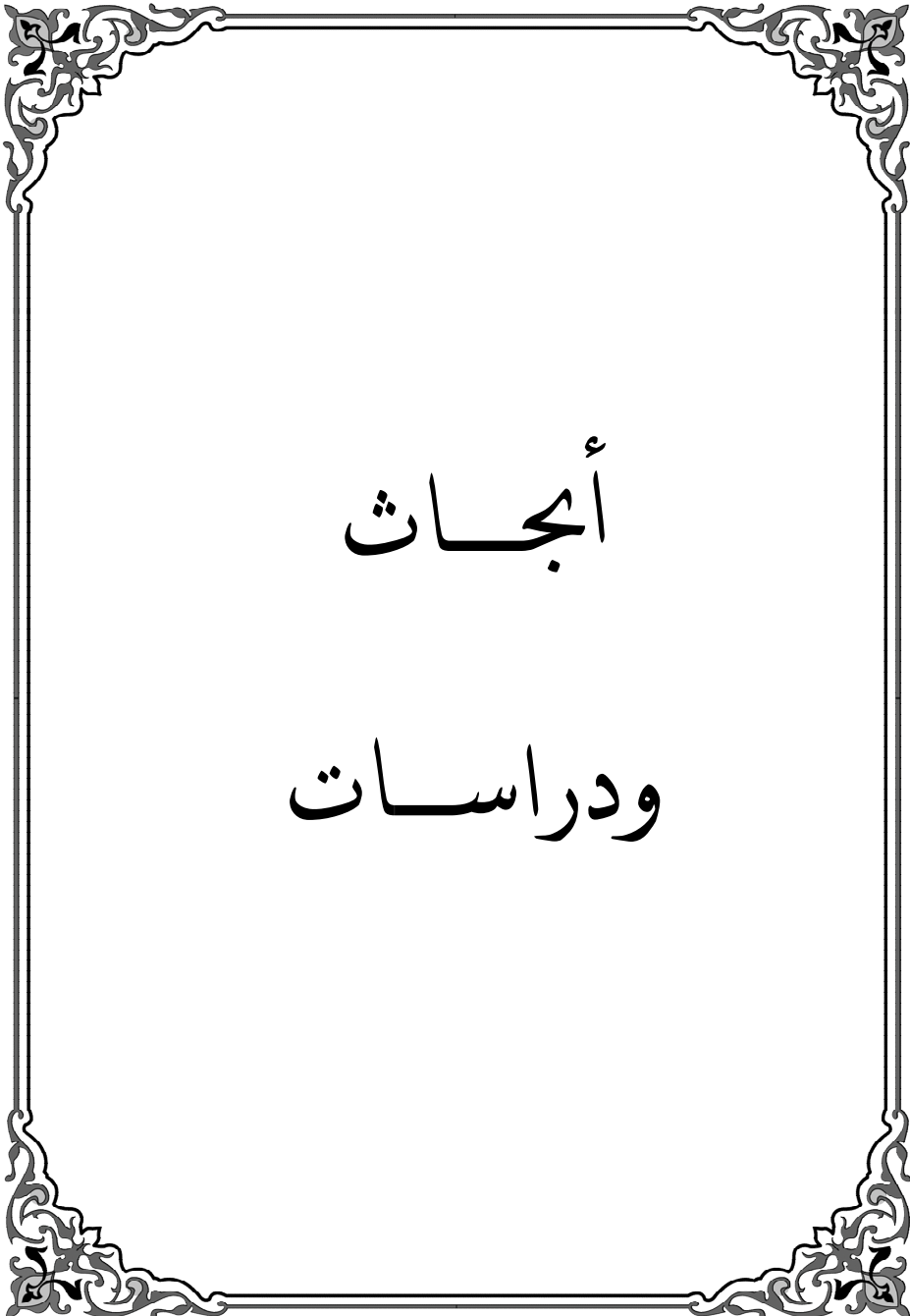
المشرف العام

بحمد الله وتوفيقه يطل العدد الأول من مجلة حضارة بعد العدد التجريبي الذي صدر في الربع الأخير من العام الفائت، وإذ تفتتح (حضارة) عامها الأول؛ فإنها تسعى جادة إلى تحقيق هدفها في أن تكون منبراً منتجاً لفكر ملتزم بـ (ثقافة الممانعة) التي تسعى لأن تكون ميداناً لبحثها ومعرضاً لنشرها، ووسيلة للتعريف بالنشاط الفكري العراقي في أوساط المثقفين والقراء في البلاد العربية، ويظهر هذا العدد بعد الاستفادة من ملاحظات الإخوة المهتمين ممن اطلعوا على العدد التجريبي الذي وزع في نطاق ضيق في عدد من البلدان العربية إضافة إلى العراق بجهود فردية لأعضاء مركز الأمة للدراسات والتطوير وهيئة تحرير المجلة، كما يشهد العدد مشاركة عدد من الأقلام العربية التي تعيش مع المركز والمجلة هموم الأمة، ويتفق أصحابها مع (حضارة) في أهدافها العامة؛ ليحققوا بهذه المشاركة التواصل المعرفي المقصود بين المثقفين العرب والمسلمين.

ويضم هذا العدد بين دفتيه ثلاثة دراسات تقرأ الأولى منها منهج فهم الصراع مع الصهيونية، فيما تبحث الدراسات الأخرى في المتغيرات المتوقعة لجليء رئيس أمريكي جديد؛ فترصد الأولى منهما رحيل بوش وخيارات أوباما والمقاومة العراقية، فيما تستشرف الثانية ما ينتظر الرئيس الجديد، كما يضم العدد مقالين يتناولان الحالة الأمريكية العامة؛ فيدرس الأول منهما بعض مفاهيم القوة الأمريكية وموجباتها، فيما يقارن الثاني بين نهاية التاريخ ونهاية أمريكا، ويعتني ملف العدد بدراسة آثار الاحتلال الأمريكي للعراق في بعض الجوانب الاقتصادية والثقافية، أما حقل التقارير والاستطلاعات فإنه يعتني

بعرض تقرير مترجم صادر عن أحد مراكز الدراسات الأمريكية؛ يعرض فيه معدّوه التحديات التي تواجه أمريكا بعد العراق.. كما يهتم حقل الوثائق في هذا العدد بنشر نصوص بعض الفتاوى المتعلقة باتفاقية الإذعان مع الاحتلال، ويختتم العدد بتغطية نشاطات مركز الأمة للدراسات.

وختاماً.. لا بد من قيام بالواجب وشكر للإخوة هيئة التحرير ومستشاري المجلة في بغداد والقاهرة، والعواصم العربية الأخرى الذين بذلوا كل جهد ممكن لإخراج هذا العدد بهذه الحلة، وكذلك الشكر مستحق للإخوة الباحثين والدارسين الذين تفضلوا علينا ببحوثهم ودراساتهم ومساهماتهم في هذا العدد.. وإلى عدد قادم بعون الله تعالى.



أجاث ودراسات

منهج لفهم الصراع مع الصهيونية

د. محمد مورو

منهج لفهم الصراع مع الصهيونية

د. محمد مورو

إن حديثنا عن الصراع العربي الإسرائيلي على أرض فلسطين إنما هو حديث عن مستقبل كل الأمة الإسلامية، وبالتالي مستقبل العالم؛ ذلك أن الصراع الذي جرى على أرض فلسطين ليس إلا جزءاً من تاريخ وجغرافيا العالم الإسلامي.

إن ذلك الصراع يمثل بشكل شبه كامل جدل العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فضلاً عن التاريخية؛ بل ويمثل صراع القوى الكونية في تلك اللحظة من عمر التاريخ، وإن فهمنا لطبيعة الصراع وتحليلنا للعوامل السابقة يقودنا إلى نتائج في غاية الخطورة والحسم.

مدخل تاريخي

يظل وجه التاريخ دوماً ذلك الصراع المستمر والذي لم يتوقف لحظة بين القوى الربانية من جانب والقوى الشيطانية من جانب آخر، بما تملكه كل قوة من خصائص خاصة بها وأدوات وأساليب في الصراع خاصة بها أيضاً، ولكن ضمن سنن الله سبحانه وتعالى التي لا تستطيع أي قوة منها أن تتجاوزها، فالقوى الربانية قوة الجماهير المسلمة بقيادة الطليعة المؤمنة وهي قوى تعمل على:

(١) ربط مصير الإنسانية بأيدي كل الجماهير، أي أنها جماهيرية تعمل مع وبالجماهير.

(٢) تحرير البشر كافة من الخوف والجهل والاستبداد السياسي والظلم

الاجتماعي والتخلف القبلي.

(٣) قوى غير سلطوية بمعنى أنه لا إكراه لديها في أي شيء بل هي تعتمد في التفاف الجماهير حولها على تحرير تلك الجماهير من الاستبداد السياسي والتخلف القبلي والاجتماعي والظلم الاقتصادي ثم تترك للجماهير حقها في اختيار قناعاتها الدينية والسياسية والاجتماعية، فإذا بالجماهير تختار الإسلام لأن هذا يوافق فطرتها ولأن تصميم الكون والحياة والعقل البشري يقود إلى هذا تماماً.

(٤) قوى تعمل على إزالة كل أشكال التسلط من على وجه الأرض لتحرير كافة البشر (مفهوم الجهاد الإسلامي).

والقوى الشيطانية قوى غير جماهيرية تعزل الجماهير باستمرار عن الوعي والعلم والمشاركة في بناء حياتها بل تمارس عليها استبداداً سياسياً بمعنى أنها تصدر حرياتهم وحقها في الاختيار فهي تفكر لها، ثم هي تربطها بالقيود القبلية والاجتماعية ولا تترك لها فرصة للاختيار الحر وتقمعها اقتصادياً بمعنى أنها لا تلبى لها حاجاتها الاقتصادية المشروعة، فهي في النهاية أن تمارس فئة من البشر التسلط والتحكم في الجماهير مستخدمة في ذلك إعلامها وشرطتها وأجهزتها القمعية المختلفة.

وبالتالي فإن أي نجاح في انتزاع حق من حقوق الجماهير في الحرية السياسية ورفع المعاناة الاقتصادية وتسليح الجماهير بالوعي هو في النهاية لصالح القوى الربانية ضد القوى الشيطانية والعكس دائماً صحيح.

وهكذا أصبح شكل الصراع في تلك الحقبة هو صراع بين القوى الشيطانية ممثلة في الحركة الصهيونية بدعم كامل من الغرب الصليبي (أمريكا وأوروبا)،

وذلك في مواجهة القوى الربانية التي تمثلها جماهير مؤمنة بقيادة طليعة واعية مع ملاحظة وجود حاجز قوي يمنع الطليعة من أداء دورها وهي أنظمة الحكم التي لا تكفي بمجرد منع الطليعة من أداء دورها بل تطاردها وتنكل بها، وبذلك يكون هذا الفهم مدخلاً لفهم طبيعة الصراع في المنطقة.

يأخذ الصراع الإسلامي الصهيوني شكله الخاص عبر مستويين:

المستوى الأول

يمثل تناقضاً جوهرياً بين الطليعة المؤمنة وجماهيرها وبين رأس الحربة الشيطانية إسرائيل.

المستوى الثاني

هو التناقض الثانوي بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل.. وينبغي علينا الآن أن نفهم شروط وظروف كل من المستويين.

ولنبداً بالمستوى الثاني

(١) التناقض بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل ليس تناقضاً جوهرياً وبالتالي فإن ذلك التناقض يمكن أن يحل عبر التفاوض، وبذلك يمكننا أن نقول إن التفاوض سمة أساسية من سمات الصراع بين الأنظمة العربية وإسرائيل.

(٢) إن تلك الأنظمة بما أنها لا تملك تناقضاً جوهرياً مع الكيان الصهيوني فإنها لن تواصل القتال ضده حتى النهاية، ولكنها في إدارة الصراع مع العدو الصهيوني تحاول أن تكسب مجرد أوراق تساوم بها من ناحية، ومن ناحية أخرى تسحب البساط من تحت أقدام الجماهير المؤمنة باعتبارها يمكن أن تكون نائبا عنها، وهكذا فإنها أنظمة مساومة تمتلك هامشاً من المصالح يتطابق مع وجود إسرائيل وهامشاً آخر تشكل إسرائيل خطراً عليها فيه.

(٣) إن تلك القوى مهما كان شكلها ستسقط في النهاية في الحقبة الإسرائيلية لأنها لا تملك مبرراً أيديولوجياً للاستمرار حتى النهاية.

(٤) إن تلك القوى والأنظمة تحاول استثمار حركات المد الجماهيري ضد إسرائيل لصالح تحسين ظروف التفاوض ليس إلا، بل وعلى استعداد أن تبيع دم الشهداء مقابل ثمن بخس.

(٥) إن تلك القوى ليست على استعداد لترك الجماهير لممارسة حقها المشروع في مقاومة الغزوة الصهيونية لأن هذا خطر عليها.

خصائص وشروط المستوى الأول

(١) التناقض الجوهرى بين الجماهير المسلمة وبين إسرائيل يستمد أساساً من وعي تلك الجماهير.

إن إسرائيل ليست إلا آخر أشكال الصراع بين القوى الإلهية والقوى الشيطانية وإنها في هذه المرة تستهدف قلب الأمة المسلمة وعقلها معاً، وبالتالي فإنه صراع حضاري في جوهره وصراع فناء، فإما أن نكون وإما ألا نكون، وهكذا فإن الجماهير المؤمنة عاشت شعار "إن قضية فلسطين هي القضية المركزية للأمة الإسلامية". (فكل نظام يريد أن يقوم لابد أن يدخل من بوابة هذه القضية وكل نظام يسقط يسقط أيضاً من هذه البوابة).

(٢) إن الجماهير المؤمنة بما أنها وعت شكل وحقيقة الصراع لا تملك أن تختار إلا طريقاً واحداً وهو حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى وإعلان الجهاد المقدس.

(٣) إن الجماهير المؤمنة ترفض تماماً طريق المساومات والتفاوض وخلافه بما أنها فهمت حقيقة الصراع.

(٤) إن الجماهير المؤمنة يجب أن تعرف شروط وظروف عملها في إطار الهجمة الغربية الشرسة وفي إطار الزمان والمكان وعليها أن تدرس طبيعة التناقضات الموجودة في الساحة وتستفيد منها، وعليها أن تفرز حلفاءها وأعداءها بوضوح، وانطلاقاً مما تقدم ينبغي علينا أن نضع تحت الدراسة بعض الوقائع التاريخية الآتية التي توضح دور الجماهير المسلمة ودور الأنظمة كمحورين للصراع ضد إسرائيل.

ومراحل ذلك الصراع

- (أ) ظهرت إسرائيل على يد اليهود وبدعم من الإنجليز (وعد بلفور).
- (ب) اعترف بها بمجرد إعلانها في عام ١٩٤٨م أمريكا الصليبية وروسيا الشيوعية بل والأحزاب الشيوعية في العالم العربي والإسلامي.
- (ج) أيدها المسيحيون وبخاصة المارونيون في لبنان بمجرد قيامها بل دعوا إلى ذلك دعوات صريحة "يقول المطران مبارك في كتاب صدر سنة ١٩٤٨م إذا لم تقم لليهود دولة في فلسطين سوف يتعذر أن نعيش مع العرب في صعيد واحد، ولم يكتف هذا المبارك بهذه الركلة فقط، ولكنه طاف بكل كنائس العالم وأمريكا ليلتمس من دولها في هيئة الأمم إنشاء وطن مسيحي في لبنان ليتعاون مع الوطن اليهودي في تأديب العرب.
- (د) قامت الجماهير المسلمة بانتفاضات دموية قبل مطلع الثلاثينيات كانت الأولى سنة ١٩٢٠م والثانية ١٩٢٣م والثالثة سنة ١٩٢٩م وفهمت الجماهير المسلمة بحسها العميق أن الصراع ضد طرفي الهجمة بريطانيا والصهاينة مع ملاحظة أن التنظيمات الداعية إلى مهاجمة بريطانيا كانت جمعية الشباب المسلم في حيفا ذات الصلة الوثيقة بالشيخ القسام.

وعلى الوجه الآخر تظهر الزعامات المحلية والعربية غارقة حتى أذنيها في الوسطية والتفاوض، بل وتقف كل القوى غير الإسلامية مواقف مشبوهة "يلاحظ موقف الشيوعيين الفلسطينيين من الانتفاضات".

(هـ) انتفاضة سنة ١٩٣٦ في حين كانت الجماهير تقدم دمها على ساحة الجهاد، وكانوا هم خارج الساحة يقودون المعركة وبعد ستة أشهر من الجوع والقهر، جاء الزعماء العرب في الممالك العربية (مصر والأردن والسعودية والعراق) ليأمروا الجماهير المسلمة التي تنزف دمها بإيقاف المعركة الأولى لأن الصديقة بريطانيا ستفهم مطالبنا في جلسات التفاوض القادمة.

(ك) وعت الجماهير المسلمة في تلك اللحظات كيف أن الزعماء ليسوا على استعداد للذهاب حتى النهاية في النضال خوفاً على مصالحهم فطرح عز الدين القسم نظريته الفذة في العمل التنظيمي الجماهيري الذي يعتمد على الجماهير الغفيرة المسلمة (عمال - فلاحين - بائعي جاز) ويتخذ الجهاد الإسلامي المسلح طريقاً وحيداً، ولأن جماهير الأمة المسلمة هي صاحبة المصلحة في التصدي للغزوة الصهيونية، ولأنها هي القادرة حتى النهاية، فإن طريق القسم مازال يتحرك حتى اليوم عبر ذلك التاريخ مع ملاحظة أن القوى السياسية خارج الإطار الإسلامي تتحرك لتحجيم دور الجماهير ومنعها من أداء رسالتها.

وقد تم ذلك عبر عدة مراحل

(أ) المرحلة الليبرالية: الزعماء العرب يطرحون الليبرالية كشعار لهم ويمنعون الجماهير من الوصول إلى مراكز السلطة بالقمع والخداع مع ظهور تفاوت طبقي ضخم، ولقد خاضت تلك الأنظمة مكرهة تحت ضغط الجماهير معركة

سنة ١٩٤٨م، ولكن ما كان أسهل على العصابات الصهيونية أن تضرب تلك الأنظمة ضربات قاتلة ليس لأنها أقوى من جيوشها ولكن لأن قادة تلك الجيوش بما يمثلونه من طبقات وفئات اجتماعية ليس بينهم وبين إسرائيل تناقضاً جوهرياً فضلاً عن أن ما يمثله هؤلاء من الليبرالية ليس إلا جزءاً من الحضارة الغربية فكيف يستطيع أن يتحدى مثله الأعلى (لاشك أن إسرائيل تمثيل أكثر جودة للحضارة ولاشك أن الأنظمة العربية تمثيل متخلف للحضارة الغربية)، كما أن تلك الأنظمة قد دخلت الحرب كتنفيس لضغط الجماهير المسلمة عليها فهي ليست جادة في دخول الحرب.

(ب) وعلى الطرف المقابل تقوم الجماهير المسلمة والطلائع الواعية بالقتال البطولي مكملة طريق القسام.. (قام الإخوان المسلمون بقيادة البطل أحمد عبد العزيز بالقتال البطولي الرائع ضد اليهود وإلحاق قدر كبير من الخسائر بهم، وكذلك المحاهد البطل فوزي القاوقجي وعبد القادر الحسيني) إلا أن الأنظمة العربية تمنع الجيوش الجماهيرية المسلمة من إكمال انتصارها فتوقع هذه الأنظمة اتفاقية الهدنة، وهكذا تنتهي حرب ١٩٤٨م لتدرك الجماهير المؤمنة أن عليها أن تناضل بشكل جذري ضد تلك الأنظمة العميلة التي حالت دون انتصارها، وأدت بخيانتها إلى ضياع قلب الأمة الإسلامية وهكذا فإن حرب ١٩٤٨م أدت إلى:

- (١) انتهاء حقبة الليبرالية العربية وإفلاس تلك الأنظمة وعدم قدرتها على الاستمرار فجاءت الخمسينيات لتحمل لنا أنظمة العسكر.
- (٢) إن التناقض الرئيسي هو بين الجماهير المسلمة وبين إسرائيل.
- (٣) إنه ليس ثمة تناقض رئيسي بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل.

مرحلة حرب ١٩٦٧

لم تنقطع نضالات الجماهير المسلمة داخل الأرض المحتلة وخارجها ضد إسرائيل ولكن نلاحظ أن فترة ١٩٤٩م — ١٩٦٧م كانت تحمل بوجه خاص محاولة لسحق الكيان الإسلامي للأمة على كل المستويات حتى البسيطة منها، (اغتيال وشنق وسجن العديد من قيادات الحركة الإسلامية) مع تصاعد مد علماني قومي اشتراكي على المستوى الثقافي والفني والمؤسسي، ويأتي عام ١٩٦٧م لتتكرر نفس المأساة فالقيادة (هذه المرة الاشتراكية القومية) تترك جيوشها لتسحقها إسرائيل سحقاً دون أن تطلق رصاصة تحت ستار مهزلة انسحاب مازالت تحمل الكثير من الأسرار غير المفهومة على المستوى التفصيلي، ولا داعي لأن نكرر أن نفس تلك الأنظمة بما تمثله من قوى وأيديولوجية غير قادرة على مواجهة مثلها الأعلى (الحضارة الغربية) التي هي جزء ممسوخ ومشوه لها، كما أنها لا تملك في الأساس تناقضاً مع الكيان الصهيوني (يلاحظ بعض الطروح الغربية في تلك الفترة عن وحدة البروليتاريا العربية والإسرائيلية وغيرها من الترهات التي صدعنا بها السادة اليساريون في تلك الحقبة).

وهكذا يأتي عام ١٩٦٧م لينهي رسمياً حقبة الاشتراكية، وإن كانت بعض تلك الأنظمة قد عاشت بعدها إلا أنها عاشت في الوقت الضائع من عمرها مهما طال ذلك الوقت، وذلك بسبب عدم قدرة الحركة الإسلامية على التقدم والقيام باستلام زمام الأمة لأسباب خاصة.

وهكذا فإن الهجمة الصليبية الصهيونية منذ عام ١٩٦٧م قد استطاعت أن تحل تناقضاتها مع الأنظمة العربية لصالحها وما عليها إلا أن تتقدم لتصبغ كل

شيء بالصبغة الإسرائيلية، ولتفتح عصر الحقبة الإسرائيلية وخصوصاً أن الحركة الجماهيرية المسلمة قد تم ضربها ضربات موجعة، وبدا أن تلك الحركة لم تعد قادرة على التصدي للهجمة الصهيونية داخل كيان الأمة وعقلها ووجدانها ولكن هيهات.

تبدو ملامح تلك الفترة في:

(١) إقامة أنظمة عميلة مباشرة للقوى الإسرائيلية بمعنى أنها تتلقى أوامرها مباشرة من شارون وبيجين، وهذه الأنظمة أنظمة تلفيقية لا تملك أيديولوجية محددة فهي تارة ديمقراطية اشتراكية أو قومية أو.... الخ.

(٢) إن تلك الأنظمة لا تملك أي تناقض مع إسرائيل، بل إن تناقضها الأساسي مع الجماهير.

(٣) يتم تزيف الثقافة والفن بشكل كامل لصالح إسرائيل (رفع كل ما يمت للتاريخ الحقيقي بصلة من المدارس — إغراق الأسواق بالأفلام والكتب والسلع ذات التوجه الإسرائيلي — منع خطباء المساجد من ترديد آيات القرآن التي تسبب بني إسرائيل)... الخ.

ملاحظة هامة جداً* ظهرت كثير من البطولات الإسلامية في سيناء والجولان بدوافع شخصية إسلامية بحتة، بل وقام عرب سيناء المسلمون بكثير من العمليات العسكرية ضد إسرائيل ولم يفصح النظام عنها تمهيداً للحقبة الإسرائيلية.

* برغم الضعف الشديد للحركة الإسلامية في تلك الحقبة إلا أن الحركة الإسلامية قد تصدت لتلك الحقبة بشكل قوي جداً أسهم في تأخير الحقبة الإسرائيلية وتقليل كثافتها بشكل كبير.

* قلنا إن الأنظمة العربية لم تعد تملك تناقضاً مع إسرائيل والهجمة الاستعمارية، ووقعت في شرك العمالة المباشرة لإسرائيل، وسحبت بنادق جيوشها من اتجاه إسرائيل إلى اتجاه قلوب الجماهير المسلمة، وإن وظيفتها في تلك المرحلة ستكون ضرب الجماهير المسلمة بلا هوادة وتغييبها وتزييف وعيها، إلا أن سقوط تلك الأنظمة سيكون متفاوتاً بحسب الظروف الذاتية والموضوعية لكل منها، وقلنا إن الجماهير المسلمة هي وحدها التي تملك تناقضاً جوهرياً، وبالتالي تملك القدرة على التصدي لإسرائيل، وظهر مما سبق وطبقاً لهذا التحليل إن الأنظمة العربية لم تخض معركة واحدة مع إسرائيل وإنها كانت تهزم قبل أن تدخل المعركة، وإن القوة الوحيدة التي استطاعت أن تحقق انتصارات تكتيكية ضد إسرائيل هي قوة الجماهير المسلمة وإنها قادرة على الانتصار النهائي ما لم تحل الأنظمة العربية دون ذلك، حزب الله — حماس — الجهاد الفلسطيني.

طبيعة الكيان الصهيوني

لكي نستطيع أن نواجه التحدي الصهيوني الذي يمثل رأس الحربة الشيطانية بتحد مكافئ له ينبغي لنا أن ندرس طبيعة هذا الكيان من حيث نشأته ومن حيث طبيعته ومن حيث توجهاته.

المجتمع التوراتي

تستطيع أن تقرر بكل حزم أن المجتمع الصهيوني هو مجتمع توراتي تماماً من حيث نشأته، من حيث طبيعته ومن حيث توجهاته، ولا داعي أن نكرر أن الصهاينة يلغون النصوص ويجرفونها ليؤيدوا وجهة نظرهم فهذا ليس من موضوع بحثنا.

ومسألة توراتية المجتمع الصهيوني واضحة تمام الوضوح في كل قواه السياسية وكافة الاتجاهات من يمين ويسار وحتى ملحدين.

"نشأ هذا البلد تنفيذاً لوعد العرب ذاته، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود".

جولدا مائير في تصريح لها لـ "لوماندا" الفرنسية بتاريخ ١٥ مايو عام ١٩٧١م "لاحظ أن جولدا مائير رئيسة حزب العمل الإسرائيلي:"
"لقد وعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها".

بيجين في أوسلو ونشرته صحيفة دافار عدد ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٨م وبيجين من كتلة ليكود:

"إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة، بلاد القضاة، أرض أورشليم وحيرون وأريحا وأماكن أخرى" تصريح موسى ديان لجيروزاليم بوست في ١٠ أغسطس سنة ١٩٦٧م.
وهكذا يتردد دائماً على ألسنة الزعماء الصهاينة نفس الشعارات سواء كانوا من اليمين أم من اليسار، أعضاء في حزب العمل أو في كتلة ليكود ناطقين باسم الجيش أو باسم الحاخامية "التوراة ترسم كل شيء في إسرائيل".
ترسم ثقافة الأطفال في المدارس بناءً على توجيه بن جوريون فإن الدين اليهودي في إسرائيل يدرس كمادة إجبارية في الدراسة.

الزواج في إسرائيل زواج ديني ولا يوجد زواج مدني كما أنه لا يوجد في دولة إسرائيل دستور لأن التوراة هي القانون الأساسي للدولة، كما أن التوراة ذاتها تعرف المواطن وتحدد من هو الإسرائيلي وهي ذاتها تحدد حدود الدولة بل وتبرر الحرب والإرهاب.

* علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر هذه الحرب فنحن نؤدي واجبنا الديني بتواجدنا هنا فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً، وهو أن نغزو أرض العدو، صحيفة هاريتس ٥ / ٧ / ١٩٨٢م على لسان حاخام برتبة نقيب، والمذابح ابتداءً من دير ياسين وحتى "صابرا وشاتيلا" تبررها التوراة. "وحرقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل ومسن وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف" سفر يسوع الإصحاح ٦ الآية ٢١.

وإن تصريح شعار دولة علمانية ديمقراطية في إسرائيل مجرد إلهاء وهو، لأننا رأينا كيف أن الكيان الصهيوني، كيان توراتي حتى النخاع، وبالتالي فإن من يطرح هذا الشعار كمن يدفن رأسه في الرمال أو يريد مواجهة مجتمع بأسلوب لا بد أن يفشل معه وليس مكافئاً له وهو يسحب سلاح الجماهير المسلمة منها ولا يسحب سلاح الصهاينة منهم، وبالتالي فهو طرح خائن ومرفوض فضلاً عن أن هذا الشعار مرفوض تماماً في إسرائيل، فإسرائيل في نشأتها وطبيعتها لا تنفصل عن التوراة وإلا سقطت، وبالتالي فإننا حين نطرح أن الصراع يجب أن يكون قرآنيّاً فإننا بالتالي نعطي تحدياً مكافئاً فضلاً عن أن أمتنا لا تتحرك إلا من خلال قرآنها، وبالتالي فإنها حضارة توراتية بكل ما تملكه من إرهاب وعنصرية أمام حضارة قرآنية بكل ما تملكه من حرية وإخاء والصراع صراخ حضاري.

المجتمع الصهيوني مجتمع عنصري

يدعي الصهاينة أن كل يهود العالم اليوم من ذرية جنس واحد وكتلة واحدة بأمر الرب، وهذه العنصرية تقوم أيضاً على أساس توراتي وتستمد وجودها من عناصر التوراة التي حرفها اليهود، وهكذا فإن اليهود هم شعب

الله المختار، وبقية العالم عبيد لهم، وهي فكرة مرفوضة من علم الأنثروبولوجي وعلم الآثار ومرفوضة أيضاً تاريخياً، ولكن يجب علينا كجماهير مسلمة أن نطرح في مواجهتها شعار الأمية الإسلامية. بمعنى أن نطرح شعار الظاهرة الثقافية في مواجهة الظاهرة العنصرية والظاهرة الرسالية المتفتحة على كل المستضعفين في مواجهة القومية الدينية الضيقة الأفق، والإسلام يرفض فكرة العنصرية والعرقية ويطرح المسلمون أن كل مستضعفي العالم من مسلمين وغير مسلمين في خندق واحد أمام كل القوى الشيطانية حتى لو كان فيهم مستكبرون يتسمون بأسماء إسلامية.

إن جماهير المسلمين تطرح رسالة يقوم بها الإسلاميون التي يمكن أن ينتسب إليهم أي شخص بصرف النظر عن جنسه ولونه ويتحالف مع الإسلاميين كل المستضعفين، ويدافع هذا المعسكر عن كل المستضعفين حتى لو كانوا يهوداً وهذا يسقط شعار القومية العربية في مواجهة القومية اليهودية.

الأسطورة التاريخية

ووفقاً لنصوص التوراة فإن الصهاينة يحاولون تلفيق التاريخ في المنطقة بشكل يجعل لليهود حقاً تاريخياً في فلسطين، وهكذا فإن اليهود يستعملون كل طاقتهم التاريخية في حشد قواهم ضد أمتنا وحضارتنا، وبالتالي فإن أي طرح يجابه هذا التحدي يكون غير متكافئ ما لم يحشد طاقتنا التاريخية والحضارية أمامهم وهكذا فإن على الجماهير المسلمة أن تتسلح بالوعي التاريخي لتستطيع مواجهة ذلك التحدي الحضاري.

أسطورة الصحراء الخالية

روج الصهاينة لأسطورة أن أرض فلسطين شبه صحراوية، وأنها لا زرع

فيها ولا ضرع وعلى من شاء أن يأتي للحصول على ما يشاء من الأرض، هذا من ناحية ومن ناحية فإنهم يروجون للمعجزة الإسرائيلية الاقتصادية في أرض فلسطين، وعلينا كجماهير مسلمة أن نواجه ذلك التحدي بما يلي:

(١) دراسة البيئة الاقتصادية للمنطقة وإثبات أنها لم تكن يوماً ما صحراء.
(٢) إثبات تأمر الرجعية العربية والأسر الإقطاعية مع الصهاينة في محاولة نهب الأراضي التي كانت مزروعة ولم تكن صحراء.

(٣) التشبث بشدة بالبقاء بالأرض المحتلة ودعم صمود الأهالي داخل الأرض المحتلة، بل ودعمهم اقتصادياً لإقامة كيان اقتصادي عربي داخل الأرض المحتلة.

الكيان الصهيوني كيان استعماري

لابد أن نقرر هنا أن الكيان الصهيوني هو جزء من القوى الشيطانية التي تستهدف أمتنا بحضارتها ومصالحها ووحدها وطبيعتها بوجود رأس الحربة الشيطانية،

يقول هرتزل في كتابه "الكتلة اليهودية ستكون جزءاً من حائط يحمي أوروبا من آسيا وستكون بمثابة حارس يقف في الطليعة ضد البربرية" لاحظ أن آسيا هي القارة المسلمة وأن كلمة البربرية تعني المسلمين وهكذا فقد حدد هرتزل دور الصهيونية كجزء من القوى الاستعمارية وكحليف أساسي لها، وأنه سوف يؤدي دوره في ضرب حركة الجماهير المسلمة والوقوف كحائط أمام امتدادها، والكيان الصهيوني كيان استعماري من نوع استيطاني وهكذا فإنه يعتمد على الإرهاب والإفناء في محاولة التفرغ للأرض من سكانها والحلول محلها، وهكذا فإن كل يهودي يقيم في أرض إسرائيل فهو عدو لي مهما كان انتماءه السياسي، وإسرائيل تعتمد سياسة التوسع وبالتالي فهي كيان

استعماري باستمرار استعماري بطبيعته، واستعماري بتركيباته، واستعماري بارتباطاته الاستعمارية وبدوره في المنطقة، وهكذا فإن مقولة التحالف بين البروليتاريا العربية والإسرائيلية التي يروج لها اليسار هي مقولة خائنة ومرفوضة، وعلينا أن نسقطها لأن الكيان الصهيوني كله كيان استعماري بكل انتماءاته وطبقاته وهكذا فإن الطرح المكافئ لهذا يتمثل في:

- (١) ضرب كل المصالح الاستعمارية وليس ضرب اليهود وحدهم.
- (٢) اعتبار كل يهودي على أرض فلسطين مستباح الدم.
- (٣) إن كل أساليب التفاوض والمهادنة إلقاء وتضييع للجماهير وصرفها عن دورها الحقيقي.
- (٤) اعتبار حرب التحرير الشعبية الإسلامية هي الحل الوحيد.

الكيان الصهيوني كيان عسكري

تنفق إسرائيل أكثر من ٥٠ % من ميزانيتها على الجيش وبذلك يمكن اعتبار الكيان الصهيوني كياناً توراتياً استعمارياً عسكرياً وهذا يدعونا لأن نواجهه بأيديولوجية إسلامية وحرب تحرير شعبية وصراع حضاري متكافئ، ودراستنا لطبيعة المؤسسة الإسرائيلية توضح بجلاء عبث الدخول مع الكيان الصهيوني في حرب جيوش ولكن ترك الجماهير المسلمة لتواجه الكيان الصهيوني بحرب طويلة المدى.

الكيان الصهيوني كيان فاشي

والكيان الصهيوني بتركيبته وطبيعته وتوجهاته، كيان فاشي فالديمقراطية الإسرائيلية ديمقراطية بالنسبة لليهود وليست ديمقراطية بالنسبة لغير اليهود والتحدي المكافئ لهذا هو النضال المستمر لجماهير المسلمين لأجل انتزاع

حريتها داخل بلدانها ومزيد من إبراز الوجه الحقيقي للإسلام كرسالة تؤمن بحرية الجماهير ومساواتهم.

بعض الملاحظات الهامة

قضية العداء للسامية

* معاداة اليهودية ترجع إلى أصل مسيحي وهي من مخلفات الفكر القسطنطيني الذي ورث تقاليد كهنة المعابد اليهودية وتقاليد الإمبراطورية الرومانية، فبعد أن كانت تلك الكنيسة مستضعفة أصبحت تمارس الاضطهاد بمجرد استيلائها على السلطة وراحت تصب غضبها على كل الأديان الأخرى سواء كانت وثنية أم يهودية ووجدت في اليهودية منافساً خطيراً ينبغي القضاء عليه، واتهمت اليهود بأنهم عندما رفضوا الاعتراف بأن يسوع هو المسيح فقد أصبحوا في عداد "قتلة الرب" - من كتاب برنا ولازار (اللاسامية) نشر عام ١٨٩٤م.

* معاداة اليهودية (اللاسامية) فكرة تخدم الصهيونية حيث إن أعداء السامية يريدون التخلص من اليهود ولو على حساب إقامة دولة لهم في أراضي الغير. * إنه لم يثبت في تاريخنا أي اضطهاد لليهود على يد المسلمين.

* إننا كجماهير مسلمة نرفض العداء للسامية ونعلن تضامننا مع كل مضطهد، وإننا نرفض فكرة اضطهاد اليهود من أساسها، لأن هذا موقف يأباه ديننا الحنيف ولكننا بنفس القدر نرفض أن ندفع ثمن اضطهاد غيرنا لليهود.

إسرائيل والاستعمار الغربي

علينا أن نفهم أن هناك صراعاً جوهرياً بين القوى الإسلامية والقوى الشيطانية وأن القوى الشيطانية تمثل في العالم:

* استعماراً غريباً، صليباً. * كياناً صهيونياً.

* وأن هناك تناقضاً أيضاً بين تلك القوى وبعضها، وبالتالي فعلينا ألا نقع في وهم أن إحدى القوى يعمل لحساب الأخرى، ولكن علينا أن ندرك أن هناك مصالح مشتركة تجمع بينها.

أهمية إسرائيل للاستعمار الغربي

(١) إن الغرب الأوروبي يعرف خطورة مد الجماهير المسلمة عليه، وبالتالي فإسرائيل تبرز باستمرار أنها تعتبر بالنسبة لأوروبا الحارس ضد البربرية (البربرية تعني المسلمين).

(٢) تقوم إسرائيل بمهمة الشرطي في الشرق الأوسط وذلك للحفاظ على المصالح الغربية البترولية التي لم يعد الغرب — الولايات المتحدة — بقادر على أداء هذا الدور.

(٣) تصل إلى مراكز الأبحاث الغربية ووزارات الدفاع معلومات متصلة من إسرائيل بشأن أنواع الأداء لمختلف أنواع الأسلحة التي لم تستخدم بعد، وهكذا يستطيع الجيش الأمريكي مثلاً تجربة أسلحته المتقدمة في جيش إسرائيل، وهكذا فإن مقولة اليمين بأننا نستطيع إقناع أمريكا أو المجتمع الأمريكي بحقنا المشروع هو قول من قبيل التضليل، فقضية أهمية إسرائيل الإستراتيجية بالنسبة للاستعمار الغربي قضية محسومة.

إن هذا يدفعنا لإسقاط مقولة إن أوراق اللعبة بنسبة ٩٩,٥% أو أي نسبة مئوية أخرى بيد أمريكا، وعلينا أن ندرك أن علينا الاعتماد على أنفسنا في مواجهة إسرائيل ومعرفة أن إسرائيل ليست وحدها في المعركة ولكن الغرب،

كل الغرب ضدنا ووفقاً لمصالحه، وهكذا فإن دراسة بنيان وطبيعة وتوجهات الكيان الصهيوني لمواجهة التحدي بتحد مكافئ، أبرز:

* إن الحرب حرب حضارة ضد حضارة.

* حرب انتماء.

* إنه ما لم نتسلح بأيديولوجيتنا الإسلامية فلا فائدة.

* إن حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى هي الحل الوحيد.

* إن الحروب النظامية بالنسبة لنا خسارة مؤكدة.

وهكذا فإن التحدي يبرز شعار

"أيديولوجية إسلامية وحرب تحرير شعبية"

وهي نفس المقولة التي يفرزها إسلامنا وقيمنا وواجبنا تجاه ربنا فليس هذا هو واجبنا تجاه الله فحسب ولكن جزء من طبيعة رسالتنا كما أنه هو التحدي الوحيد المكافئ للتحدي الصهيوني.

رحيل بوش

خيارات أوباما وخيارات المقاومة

طلعت رميح

رحيل بوش خيارات أوباما وخيارات المقاومة

طلعت رميح

برحيل الرئيس الأمريكي جورج بوش و إدارة المحافظين الجدد عن قيادة الولايات المتحدة في يناير المقبل، تدخل الولايات المتحدة مرحلة سياسية جديدة، على المستويات الداخلية والخارجية. بما يستدعي التدبر في ملامح تلك المرحلة الجديدة من قبل القوى التي تواجه وجود ودور الولايات المتحدة على الأراضي العربية والإسلامية، بالنظر إلى ما خلفته مرحلة حكم المحافظين الجدد^(١) للولايات المتحدة، من حالات احتلال في العراق وأفغانستان والصومال ولطبيعة المساندة التي قدمتها تلك الإدارة للكيان الصهيوني وأثيوبيا .. الخ، إلى درجة يمكن القول معها، إن الولايات المتحدة طوال الحقبة الماضية قد كرست قدرتها (العظمى) في مواجهة شاملة مع الأمة الإسلامية من أذناها إلى أقصاها، إذا وضعنا في الاعتبار حجم الضغوط والممارسات العدوانية التي مورست على كل حكومات الدول الإسلامية، لتطويع إرادتها وتغيير سياستها ومناهج تعاملها مع مختلف قضايا السياسة الداخلية والخارجية.

غير أن "التدبر" في نوع وحدود ونتائج التغيير الحادث في الإدارة السياسية للولايات المتحدة، لتحديد طبيعة التغييرات المقابلة في استراتيجيات أو سياسات

(١) يبدو "التحوط" واجباً عند الحديث عن نتائج ما تبقى من مدة حكم الرئيس الجمهوري (جورج بوش) عن رئاسته للولايات المتحدة، وتقوم الفرضية الأساسية في تلك الدراسة على مغادرة (جورج بوش) لمقعد الرئاسة، دون القيام بأية عمليات عدوانية جديدة ضد أي من الأقطار الإسلامية، وهو الأمر الأغلب ترجيحاً.

قوى المقاومة الداخلية والعربية والإسلامية، هو أمر يتطلب تحديداً لبعض المفاهيم لإدراك محدداته، فضلاً عن الدراسة المتأنية للظروف الموضوعية الجارية التشكيل والتغير في المنطقة والعالم، بالنظر إلى الطبيعة المعقدة لعملية التغير في الاستراتيجيات الأمريكية، رغم سلاسة التغير في الإدارات السياسية التي تتولى الحكم، وباعتبار أن التغير في سياسات أو استراتيجيات قوى المقاومة هو أمر يخضع هو الآخر إلى ثوابت أصلية وإلى عوامل معقدة، لا ترتبط بالتغيرات الحادثة في سياسات أو استراتيجيات الخصم وحدها.

(١) حدود ومحددات التغير في أمريكا

في رؤية وفهم محددات التغير الذي جرى في الولايات المتحدة بوصول مرشح الحزب الديمقراطي (باراك أوباما) إلى مقعد الرئاسة، ينبغي التعرض لثلاثة قضايا، الأولى: القضية الدعائية والإعلامية، حيث ما يصل إلى المنطقة العربية يحوي بالأساس قدراً من الدعاية لصورة الولايات المتحدة بأكثر مما يدفع لفهم طبيعة التغير، والثانية: فهم طبيعة العلاقة بين السياسة الداخلية ونظيرتها الخارجية لرؤية طبيعة التأثير والتأثر بين التغيرات الداخلية في السياسة الخارجية للدول، والثالثة: قضية العلاقة بين السياسات التي تتبعها الإدارات الأمريكية المتعاقبة والاستراتيجيات التي تعتمدها الولايات المتحدة، باعتبار أن طبيعة التغير في السياسات تختلف عن طبيعة التغير في الاستراتيجيات.

(أ) الدعاية للتغير

في الوضع الراهن، يبدو للمتابع أننا إزاء حملة إعلامية منظمة تستهدف الترويج لصورة جديدة للولايات المتحدة، تختلف عن تلك الصورة التي أطلت

على أمتنا بما خلال مرحلة حكم الرئيس الأمريكي (جورج بوش)، أو بالأحرى أننا إزاء تغيير الصورة الحقيقية للولايات المتحدة، التي قدمها هذا الرئيس "المتعجرف" للعالم دون رتوش أو أصباغ، كما يمكن القول أننا أمام محاولة لتحسين صورة الولايات المتحدة واستعادة بريقها الحضاري الذي افتقدته خلال السنوات الماضية والعودة بها وبنا إلى الصورة القديمة.

لقد دارت الآلة الإعلامية "العربية" _ في أغلبها _ طوال الأشهر الماضية، أي منذ بداية الانتخابات التمهيدية داخل الحزبين الديمقراطي والجمهوري، لتغرقنا في فيض متدفق من المشاهد والتطورات وإلاشاعات والألعاب الجارية في تلك الانتخابات داخل كل حزب، حتى وصلت بالمتابعين (معصوبي الأعين) إلى داخل الصورة الكرنفالية والاحتفالية للانتخابات بين (باراك أوباما وجون مكين)، فصارت تلاحق المشاهدين باستطلاعات الرأي، وتطلب حتى تصويتهم (أي المشاهدين والمتابعين من الخارج) على كلاً من المرشحين، هو أخطر وسائل الدعاية للانتخابات الأمريكية، والحضارة الأمريكية، إذ يجري دفع المواطن من المجتمعات الأخرى إلى حالة من الاستلاب السياسي والحضاري، إذ يرى الحضارة الأمريكية هي الأرقى وحضارته هي الأدنى والتخلف بعينه، بل هي تأخذه من متابعة ما يجري ببلاده، وما أن وصل (باراك أوباما) إلى السلطة حتى تحولت تلك الدعاية "المبطنة" للحديث عن "هذا التغيير الكبير والمهم" في القيادة الأمريكية دون أن تنسى تذكيرنا (أو تطرق رؤوسنا)، بهذا الرئيس الذي مثل "بالحلم الفردي" وأثبت كيف أن هذا الذي ينحدر من أصول أفريقية، ولم يكن إلا ابن مهاجر عابر، وتربى في مآس الفقر، قد أصبح رئيساً لأكبر دولة في

العالم إلى درجة أن صرنا أمام قصة كفاح تقدم كنموذج للإنسانية، وأمام مجتمع هو القادر وحده على اجترار المعجزات.

والأهم من كل ذلك أن جرى تقديم "الرئيس الجديد" بصفته مختلف جذرياً عن ذاك الرئيس الراحل أو الآفل، وأنه داعية للحوار ومتصالح في رؤيته للسياسة الخارجية، يسعى للحوار مع الأعداء، وفي المقابل من ذلك كانت الرسالة الإعلامية تزرع في عقولنا، إن ما جرى من قبل أمريكا كان نتيجة لانحرافات (جورج بوش) عن مسيرة أمريكا.

وهنا ينبغي التنويه لثلاثة جوانب، الأول: هو معرفة الإطار العام للحركة السياسية وكيف تجري العملية الانتخابية في الولايات المتحدة، إذ أن المجتمع الأمريكي لم يتمكن عبر تاريخه من "إعادة إنتاج" الفكر السياسي ومدارسه السائدة، بل هو توقف عند حدود نشأة الحزبين الجمهوري والديمقراطي منذ نشأة البلاد واستقلالها وتوحيدها، دون قدرة على تغيير تلك الشائبة من خلال ظهور أو ميلاد أي حزب آخر (ذو شأن) وهو ما يشكك في طبيعة وظروف المكون السياسي الذي تجري "بينه" اللعبة الانتخابية وكأنها لعبة بين طرفين لاحتلال كرسي واحد.

الثاني: هو ضرورة إدراك أبعاد وخفايا لعبة "صناعة الرئيس" في هذا البلد، إذ نحن أمام دورة بالغة التعقيد في تركيب وعمل مصفاة اختيار الرئيس، ولسنا أمام دورة انتخابية بالمعنى "الجماهيري" التي يتقدم من خلالها مرشح أمام جماهير الشعب الأمريكي ضمن حالة حقيقية من حرية الاختيار، نحن أمام شخصيات يجري تصنيعها واختبارها داخل معامل وأروقة الحزبين، ليوضع

الشعب الأمريكي أمام اختيار بين اثنين، إما الجمهوري (ورمزه الفيل) وإما الديمقراطي (ورمزه الحمار)، دون ثالث.

الثالث: هو أن صناعة الرئيس ونجاحه من عدمه هو "عملية إعلامية" أكثر مما هي عملية سياسية أو جماهيرية، وفي ذلك يبدو الإعلام هو المعطى الأول، كما يظهر أننا أمام "تغيير" عقول المتابعين (لإقناعهم) ولسنا أمام صراع سياسي، إذ الدعاية والإعلان _ بتكاليفها الضخمة _ هي الجانب الأقوى دوراً، ولذا وصلت تكلفة تلك الانتخابات إلى ما يزيد على مليار دولار أغلبها أنفق على الإعلانات الدعائية.

(ب) السياسة الداخلية و نظيرتها الخارجية

والقضية الثانية التي ينبغي التعرض لها لفهم طبيعة ومحددات التغيير الذي جرى في الولايات المتحدة وحدوده هي قضية مفاهيمية، فإذا كانت قضية الدعاية ودورها في اختيار وصناعة الرئيس والترويج له داخلياً وخارجياً هي قضية إعلامية _ وفي جانب منها هي قضية إجرائية وفي جانب آخر هي قضية ترويجية _ فإن قضية العلاقة بين التغييرات الداخلية والتغييرات في السياسة الخارجية هي قضية "مفاهيمية"، وفي المفهوم العام، فإن السياسة الخارجية لأي بلد هي انعكاس للأوضاع الداخلية وللسياسات الداخلية السارية في هذا البلد، أو بالدقة تمثل السياسة الخارجية امتداداً لمصالح هذا البلد أو ذاك في علاقاته الخارجية لأي بلد، وفي ذلك نحن أمام "معنى شامل" حيث الرؤية التي تتشكل وفقها السياسة الخارجية لأي بلد تمثل انعكاساً شاملاً لأفكار ومفاهيم وعقائد وأيديولوجيات ومحصلة مصالح هذا البلد في علاقاته مع البلدان أو المجتمعات الأخرى، وفي الأمر معنى أكثر تحديداً أو مباشرة، فإذا كان هذا البلد تسوده

قيم استعمارية للشعوب الأخرى، ولديه من الشركات ما يتطلب الحصول على المواد الخام وعلى أسواق لتوزيع المنتجات على المستوى الدولي، وتسيطر على قيادة المجتمع فيه نخب تمثل مصالح تلك الشركات.. الخ، فإن السياسة الخارجية لهذا البلد ستكون في جانب أساسي منها انعكاس لتلك المفاهيم وترجمة لتلك المصالح، بما يتطلب فتح الأسواق الخارجية أمام التصدير والاستيراد، وتوسيع الصلات السياسية والثقافية والديبلوماسية والتجارية والاقتصادية مع الدول المستوردة للمواد الخام (الأولية) والدول المستوردة، أو فعل هذا وذاك وفق معادلات القوة والنفوذ والسيطرة العسكرية، أي الحالة الإستعمارية.

وفي ذلك تبدو المصالح متباينة بين الشركات ذات الطابع المدني في الإنتاج وتلك ذات الطابع العسكري مثلاً، إذ الأولى قد يكون اهتمامها الأساس بتوسيع حركة التجارة وفق أساليب النفوذ والعلاقات الثقافية والسياسية والتجارية، بينما يكون الاهتمام الأساس للثانية في إشعال الحروب، أو الاقتراب من مساحات الصراعات الدولية، لدعم فريق ضد فريق _ ضمن الرؤية العامة للدولة ومصالح المجتمع _ أو حتى لدعم الفريقين المتصارعين، والتدخل المباشر في الحروب مع دول أخرى، وفي كل ذلك يظل المعنى العام هو أن السياسة الخارجية هي انعكاس لمصلحة المصالح الداخلية في هذا البلد في العلاقات مع الدول الأخرى.

ولذلك، وفي محاولة فهم وإدراك قضية التغيير الذي جرى في الولايات المتحدة، أمام تساؤلات ينبغي الإجابة عنها ومنها: ما الذي تغير بالدقة في الأوضاع المفاهيمية للمجتمع الأمريكي، وما الذي تغير في نمط مصالح الشركات الكبرى في الولايات المتحدة، وما هو حجم التغيير الذي جرى في

الأوضاع الداخلية سياسياً واجتماعياً، حتى يمكن القول بأن ثمة "انقلاباً أو تغييراً جذرياً في السياسات والاستراتيجيات الخارجية للولايات المتحدة؟ بل وما هو حجم التغيير الذي جرى في النخب الحاكمة، وكيف يمكن تصور حدوث تغيير جذري بينما نحن أمام نجاح للحزب الديمقراطي _ وليس فرد اسمه أوباما _ الذي كان حاكماً من قبل للولايات المتحدة عبر دورات انتخابات الرئاسة والكونجرس، هل نجح أوباما كحالة فردية أم هو نجح بترشيح ودعم ومساندة الحزب الديمقراطي؟.

(ج) ثبات الاستراتيجية وتغير السياسات

والقضية الثالثة في محددات فهم طبيعة وحدود التغيير الذي نتج عن انتخاب أوباما (مرشح الحزب الديمقراطي) وفشل مكين (مرشح الحزب الجمهوري)، هي طبيعة العلاقة بين الاستراتيجيات الثابتة للدول والسياسات المتغيرة مع تغير الرؤساء والحكومات، إذ لو تصورنا أن استراتيجيات الدول _ خاصة تلك التي لها استراتيجيات ذات طابع دولي _ قابلة للتغير كل أربع سنوات مع تغير الرئيس الجالس على كرسي الحكم، لكننا أمام فوضى عارمة، ولصح القول بأن لكل رئيس استراتيجية، وهو ما يعني بالدقة عدم وجود استراتيجية أصلاً.

الدول لا تتغير استراتيجياتها، إلا عبر تغييرات حادة وإجمالية في أوضاعها الكلية (بالمعنى الحضاري والسياسي والعسكري والاقتصادي)، بينما الإدارات السياسية للدول (ولذلك يستخدم الأمريكيون تعبير الإدارة الأمريكية)، تعبيراً عن ثبات الاستراتيجية مع تغيير في السياسات لتحقيق الأهداف استراتيجياً.

وواقع الحال أن استراتيجيات الدول هي خطة تتشكل بالارتباط والمزج بين المفاهيم المستقرة والسائدة في المجتمع من جانب، والمصالح والأهداف

والتحديات الثابتة لمصالح وتطور هذا المجتمع لمرحلة طويلة وممتدة من جانب ثاني، كما هي تبني على ثوابت الأمن القومي لكل بلد، التي بدورها تستمد من طبيعة تكوينه وجغرافيته والتحديات الأساسية التي تفرضها عليه وصراعاته الإقليمية والدولية تاريخياً.. الخ، ولذلك هي تحمل مقومات الاستمرار، كما هي عملية تطويرية يصعب الإمساك بنقطة فيها لتحديد نقطة بدايتها، أو مفاصل تطورها _ ولا نقول تغييرها _ إلا عبر فترات ومراحل زمنية طويلة.

ولذلك فإن تغيير الرؤساء لا يمكن له أن يرتبط أو يتبع بتغيير الاستراتيجيات، إلا في حالات التغيير الشامل داخل المجتمع والدولة ولأوضاع تلك الدول داخل محيطها الحيوي (دولياً أو إقليمياً)، مما يتطلب تغييراً في الاستراتيجيات تنعكس في السياسات الخارجية، بل وحتى عملية التغيير الكبرى تلك لا يمكن لها أن تخرج في الممارسات عن "طبيعة ثوابت الأمن القومي لكل بلد" (وفي ذلك يبدو ما جرى في الثورة الخمينية مثلاً ونموذجاً إذ جرى الإطاحة بالشاه وتغيير النخب الحاكمة، دون الخروج على ثوابت الأمن القومي لإيران).

وهنا يبدو من الضروري تحديد مستوى التغيير الحادث في الولايات المتحدة بمجئ باراك أوباما، ضمن حدود التغيير في السياسات وفي الاستراتيجيات.

(٢) أسباب التغيير ودلالاتها

في الوقت الذي يجري الحديث فيه عن أهمية وخطورة هذا التغيير الحادث، ويجري تبشير العالم كله بأن تغييراً كبيراً أو خطيراً جرى في الولايات المتحدة، كما تحدد الأعين في عملية نقل السلطة بين بوش وأوباما _ وكل ذلك يقع ضمن الدعاية والترويج للولايات المتحدة _ فإن التساؤل الأهم أو لنقل

الجوهري، هو تساؤل عكسي وهو: هل كان من الممكن أن لا يحدث تغيير في من يجلس على كرسي الرئاسة الأمريكية في ضوء كل الكوارث التي جلبها جورج بوش للولايات المتحدة؟، التساؤل العكسي هو الطبيعي والأصح، وفي ذلك تبدو أسباب التغيير هي المعطى الأول في فهم طبيعة التغيير الحادث في الولايات المتحدة، كما هو الأساس الذي يجب أن تبنى عليه استراتيجيات وسياسات ومواقف قوى المقاومة التي تتصدى للاستراتيجية والسياسات الأمريكية في المنطقة باعتبارها تهم ببواعث التغيير ودلالاتها لرؤية طبيعة التغيير وحدوده ومؤثراته ومجالاته ووضع خطط التعامل معها.

وفي فهم أسباب التغيير يمكن القول بأننا إزاء "ثلاث" حزم من الأسباب:

الحزمة الأولى: هي أن الولايات المتحدة وصلت إلى أفق مسدود على المستوى الدولي، بل هي بدأت تتراجع على مستوى قدرتها في الانفراد بالسيطرة على العالم أو مجريات السياسة الدولية، وهو ما ولد قلقاً كبيراً داخل النخب الأمريكية الفكرية والسياسية والاقتصادية، لقد تسلم الجمهوريون (جورج بوش الابن) الحكم من الديمقراطيين (إدارة كلينتون) والولايات المتحدة تمارس قدراً هائلاً من السيطرة والنفوذ في العالم، و انتهى الأمر في ختام رئاسة (جورج بوش) والولايات المتحدة في حالة استنزاف حضاري وعسكري واقتصادي وسياسي، إلى درجة جعلت حلفاؤها الأوروبيون يطلبون التحول من حالة التبعية لها إلى حالة الشراكة والندية معها (وفق الوثيقة التي أعدها الاتحاد الأوروبي وسلمها وزير الخارجية الفرنسي لأوباما)، ولدرجة اقتربت منها الصين على نحو أسرع من احتلال مرتبة متقدمة على المستوى الاقتصادي (بعض الاقتصاديين الأمريكيين لا يرون حلاً للأزمة الاقتصادية

الأمريكية سوى طلب قرض بمبلغ ٥٠٠ مليار دولار من الصين)، وكذا تحولت روسيا _ في ختام حكم جورج بوش _ إلى فاعل على المستوى الإقليمي والدولي إلى درجة الندية الشديدة القوة للولايات المتحدة .. الخ، والأخطر أن كل ذلك جرى ويجري، والبريق الحضاري للولايات المتحدة يكاد ينطفئ، بعد أن تحولت إلى عدو أول للدول والمجتمعات والحركات الإسلامية، بما أصاب سياساتها ومشروعيتها بالانكسار والعزلة في العالم الإسلامي .. الخ.

الحزمة الثانية: هي أن الولايات المتحدة قد تدهورت في أوضاعها الاقتصادية الداخلية على نحو بات مؤثراً بقوة على حياة واستقرار المجتمع الأمريكي إن لم يكن النظام الرأسمالي كله، لقد تسببت الأزمة الاقتصادية في انهيار مؤسسات مالية وشركات صناعية وما يزال الحبل على الجرار (بما رفع نسبة البطالة وأضعف قدرة المؤسسات المالية والشركات الصناعية على المنافسة الدولية، بل وعلى الاستمرار لدى بعض الشركات الكبرى، كما تسببت الأزمة الاقتصادية في تدهور أوضاع القطاع العقاري وطرده آلاف الأمريكيين من منازلهم .. الخ.

الحزمة الثالثة: وهي أن الرئيس الأمريكي (جورج بوش) كمثل للمسيحية الصهيونية أو المحافظين الجدد، قد أحدثت سياساته وأفكاره قدراً كبيراً من السخط الداخلي، خاصة بين النخب في الدولة والمجتمع الأمريكي لأسباب تتعلق بتقليص الحريات المدنية، بعد سنّ قوانين المراقبة وتقليص الضمانات للحرية السياسية، ولاشاعته جواً من الخوف و الإرهاب الذي أصاب المواطنين الأمريكيين في نعمة الاستقرار والطمأنينة، والأهم أنه قام بأخطر محاولة لتغيير مفاهيم المجتمع الأمريكي وقيمه من البرجماتية إلى العقائدية أو الأصولية الدينية.

وهكذا توافرت للتغيير أسبابه الخارجية والداخلية، وفقاً للإجابة عن السؤال: وهل كان بالإمكان تصور احتمالات عدم التغيير؟، ولكن الأهم هو كيف نتعامل مع تلك التغيرات في أوضاع الولايات المتحدة، في ضوء رؤيتنا لما هو متاح من خيارات أمام الإدارة الأمريكية "المتغيرة".

(٣) دور المقاومة في العالم الإسلامي

هنا يبدو ضرورياً البحث عن السبب الحاكم والحرك لتراجع الولايات المتحدة دولياً وأزمته الاقتصادية ولتغول جهاز السلطة التنفيذية على السلطات الأخرى، وتضييق الحريات المدنية .. الخ، والذي كان خلف الأسباب سابق الإشارة إليها، التي ولدت إمكانية التغيير من الجمهوري إلى الديمقراطي، والتي جعلت المواطن الأمريكي يتخلى عن عنصريته وينتخب رجلاً أسوداً من خارج دائرة اللعبة الانتخابية التقليدية، لقد أذاعت وسائل الإعلام _ نقلاً عن المراكز البحثية _ أن تحليل عينات المصوتين في الانتخابات الأمريكية، أفادت بأن نحو ٦٠% من المصوتين قد حددوا موقفهم في الانتخابات بناءً على تبعات الأزمة الاقتصادية، وأن نحو ١٠% حددوا موقفهم في الانتخابات بناءً على الحرب في العراق، وأن ١٠% بناءً على موقفهم من الحريات المدنية .. الخ.

وفي ذلك يبدو من القراءة الأولية، أن الأزمة الاقتصادية (نتائجها الداخلية) كان لها التأثير الحاسم في هذه الانتخابات وفي التغيير الذي جرى من الحزب الجمهوري إلى الديمقراطي، غير أن القراءة المدققة لهذه الإحصاءات تكشف أن المقاومة العراقية بشكل خاص والإسلامية في مختلف مناطق العالم الإسلامي بشكل عام كانت العامل الجوهرية في تحفيز هذا التغيير، إذ أن دورها كان الأساس لكل العوامل الأخرى إلى درجة تجعل من الممكن القول بأن ٨٠%

من الناحيتين الأمريكيتين صوتوا لأوباما، وأحدثوا التغيير من الجمهوري إلى الديمقراطي نتيجة لدور المقاومة في العالم الإسلامي.

لقد كان الاقتصاد الأمريكي مترنحاً منذ فترة طويلة (خلال نهايات الحرب الباردة)، بل جاء العدوان على العراق ثم غزو واحتلال هذا البلد، وفق رؤية لدى الجمهوريين لحل أزمة هذا الاقتصاد، من خلال الاستيلاء المباشر على الثروة العراقية والانطلاق من بعد للسيطرة الكاملة على البترول العربي والإسلامي وفق مجريات استراتيجية السيطرة على "الشرق الأوسط"، كما جاء العدوان والغزو والاحتلال للعراق _ وكذا أفغانستان _ ضمن خطة إضعاف الأقطاب الدولية الأخرى الصاعدة في العالم (من خلال السيطرة على البترول) خاصة الصين وأوروبا والبرازيل (روسيا بلد مصدر)، كما يعلم الجميع أن التضيق على الحريات المدنية في الولايات المتحدة، جاء لقمع وإجهاض الاحتجاجات الشعبية الأمريكية على تلك الحرب، حتى لا تتحول إلى نمط آخر مشابه للاحتجاجات التي جرت على حرب فيتنام.

لقد كانت مقاومة وصمود العراق منذ بداية عدوان عام ١٩٩١م، واشتعال المقاومة العراقية بعد الغزو والاحتلال عام ٢٠٠٣م، هي ما أجهض خطة السيطرة على البترول العراقي، وجعله في داخل دورة الاقتصاد الأمريكي، كما كان فعلها ودورها هو الذي "أشغل" الولايات المتحدة عن ممارسة الضغوط والحصار على الأقطاب الدولية الأخرى، وكذا كان نشاطها هو ما دفع الجمهور الأمريكي للتحرك ضد الحرب (بسبب جثث القتلى الأمريكيين العائدين ولذا منعت وزارة الدفاع الأمريكية نشر صور لتوايت الجنود العائدين قتلى من العراق)، وما دفع إدارة (جورج) لإصدار قوانين قمع الحريات في

الداخل الأمريكي، إضافة إلى دورها في إطفاء بريق الولايات المتحدة كحضارة ودولة جاذبة.

وكذا أن المقاومة العراقية (اشتعالها واستمرارها) هو ما أصاب الاقتصاد الأمريكي في مقتل بسبب الإنفاق العسكري، أو بالدقة لقد نجحت المقاومة العراقية في استنزاف القدرة الاقتصادية والقوة العسكرية الأمريكية، لتحول الحرب "الاستباقية" الأمريكية من أجل تقوية اقتصادها إلى حرب إهمالك واستنزاف لهذا الاقتصاد، لذلك شاهدنا كيف جرت "المعارك السياسية" في الكونجرس الأمريكي حول الاعتمادات المالية المخصصة لاستمرار العدوان والحرب خلال الفترة الثانية من رئاسة جورج بوش.

وفي ذلك كان الأمر جلياً من قبل، إذ جاء انتخاب الديمقراطيون وأوباما نتيجة منطقية للتغيير الذي حدث من قبل خلال الانتخابات الرئاسية والتشريعية السابقة، التي حقق فيها الديمقراطيون تقدماً كبيراً في مجلس النواب ومجلس الشيوخ (السيطرة على المجلسين) والتي كانت قضية العراق هي الحاضر الأكبر فيها وبشكل مباشر، ودون "مؤثراتها الاقتصادية المباشرة على الداخل الأمريكي، والإشكالية الآن هي أن المتابعين لما جرى مؤخراً أمسكوا بالمؤشرات الظاهرة أو بالنتائج (الأزمة الاقتصادية والحريات المدنية) وتركوا السبب الخلفي والجوهري والأساس.

وإذا كانت المقاومة العراقية هي الأكبر دوراً في مؤثراتها، فإن المقاومة الفلسطينية والأفغانية والصومالية _ إضافة إلى مختلف أشكال المقاومة الفكرية والسياسية والإعلامية في كل بلدان العالم الإسلامي _ كان لها إسهاماتها في تحقيق التغيير في قدرة الولايات المتحدة وعوامل قوتها هي الأخرى.

وإذا كانت المقاومة الأفغانية والفلسطينية واضح دورها وتأثيرها _ على الولايات المتحدة وحليفها الكيان الصهيوني _ فإن المقاومة الصومالية قد ساهمت بدور غير مباشر في إنهاك الحليف الأمريكي الأكبر في القرن الأفريقي (أثيوبيا) وكذا الاقتصاد الأمريكي، باعتبار الولايات المتحدة هي التي مولت الاحتلال الأثيوبي للصومال، وكذا فإن المقاومة السياسية والفكرية والإعلامية في كل بلدان العالم الإسلامي، هي من ساهم في فضح الخطط الأمريكية وكشف أبعادها وإظهار الجوهر الحقيقي للحالة العدوانية الأمريكية _ إلى درجة جعلت المثقفين الأمريكيين يصدرون وثيقتهم الشهيرة "لماذا يكرهوننا" _ وهي ما أزال البريق الحضاري "الزائف" عن المجتمع والحضارة الأمريكية، إلى درجة أقلق بل أفرغت النخب الأمريكية، والأجهزة الأمريكية التي تعمل من أجل الحفاظ على قدرة وهيبة الولايات المتحدة خارجياً.

لقد جرت معركة "طاحنة" على المستوى الفكري والسياسي والإعلامي بين المقاومة بمختلف أشكالها والولايات المتحدة، مما دفع وزارة الدفاع الأمريكية إلى تأسيس (مركز الكذب الاستراتيجي)، والبيت الأبيض إلى تعيين مسؤوليه عن الدعاية الموجهة إلى العالم العربي والإسلامي، لكن كلاهما فشل.

(٤) خيارات إدارة أوباما

يبدو التوصيف الدقيق للمحصلة العامة لنتائج عملية التغيير التي جرت في الولايات المتحدة هو أنها مؤشر لحالة تراجع للقدرة الأمريكية على المستويات الدولية وعلى مستوى الأوضاع الداخلية للولايات المتحدة، وأن الأسباب الخارجية كانت هي المعطى الأول بينما جاءت العوامل الداخلية كمعطى تابع للأول، كما يظهر أن الأطراف الأخرى على المستوى الدولي قد حصلت على

مساحات للقوة والنفوذ والتأثير في القرار الدولي على حساب الولايات المتحدة، وأن التراجع الأمريكي قد أصبح تراجعاً شاملاً وعنواناً لمرحلة طويلة _ بغض النظر عن الانتخابات _ إذ هو طال القوة والهيمنة العسكرية، كما كشفت عنه وقائع الصراع الروسي - الجورجي وما تلاها من تطورات استعراض القوة الروسية في العالم، والقدرة السياسية والدبلوماسية كما كشفت عنه وقائع التراجع الحادث في منطقة "الشرق الأوسط" مما جعل أطرافاً أخرى في المنطقة (خاصة الدول الإقليمية) تحتل مساحات وتمارس المناورات السياسية لتعزيز أدوارها ومصالحها، وعلى المستوى الاقتصادي وهو ما كشف عنه انعقاد قمة الدول العشرين في بكين _ قبل انعقاد دورتها الثانية في واشنطن _ الذي كان أشبه بتحول "البندول" الاقتصادي من أقصى القارة في واشنطن إلى بكين (خاصة وأن أوروبا هي من سعى إلى عقد تلك القمة في بكين)، وكذا ما حدث من بعد، إذ حلت مجموعة دول العشرين محل الدول الثماني الكبار في إدارة الاقتصاد الدولي.

وفي ضوء كل ذلك، فإن خيارات أوباما هي خيارات "تضييق" على المستوى الاستراتيجي الدولي، وتطرح احتمالات قوية لدرجة ما للانكفاء على الداخل، لإعادة البناء والترميم مع تغيير في الاستراتيجية الدولية بحكم احتلال الدول الأخرى لمساحات من السيطرة والتأثير على القرار الدولي (عسكرياً واقتصادياً وسياسياً)، هذا التغيير لا علاقة له بأوباما ولا بالحزب الديمقراطي ولا الجمهوري بل هو ضرورة واقعية عملية، لتغير موازين القوى في العالم.

وهنا تبدو الملاحظة الأهم هي أن مثل هذا التغيير في الوضع الدولي، هو حالة صراعية وليس تسليماً وتسليماً بين الدول الكبرى، هذه الحالة الصراعية

هي العنوان الأبرز للنمط الجديد من الاستراتيجية الأمريكية التي سيجري اتباعها من قبل إدارة أوباما، لإدارة أزمة تراجع الولايات المتحدة، ومنع حدوث تدهور حاسم في أوضاعها الدولية، ولاستخدام أفضل الوسائل للحفاظ على مكانة الولايات المتحدة وفق الأوضاع الدولية الجديدة، وفي ضوء الأوضاع الداخلية الجارية الآن.

لقد بادرت روسيا بالهجوم والتصعيد مع اليوم الأول لإعلان فوز أوباما في الانتخابات الأمريكية، إذ أعلن الرئيس الروسي عن نشر صواريخ جديدة (إسكندر) على الحدود الروسية البولندية، موجهة للدروع الصاروخي (بولندا عضو حالي في حلف الأطلسي) ومن بعد هي عرضت التراجع عن نشر الصواريخ في مقابل تخلي الولايات المتحدة عن خطة الدروع الصاروخي، كما شددت روسيا من إصرارها على تغيير النظام الاقتصادي الدولي ليصبح القرار الاقتصادي دولياً وفق نظرة تعدد الأقطاب.

كما بادرت أوروبا بالتوافق على وثيقة جديدة لتنظيم العلاقات بينها وبين الولايات المتحدة تنقلها من حالة التبعية التي كانت سارية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن إلى حالة الشراكة، التي تقوم على أن أوروبا هي ند وشريك للولايات المتحدة (حسب الوثيقة) وأنه لم يعد من الممكن لدولة واحدة أن تُسير دفة القرار الدولي، ومن بعد سعت أوروبا إلى تطوير علاقتها مع روسيا متخطية الموقف الأمريكي من قضية جورجيا وقضية نشر صواريخ إسكندر الروسية.

كما تباطأت الصين في دعمها السابق الدائم للاقتصاد الأمريكي (من خلال شراء سندات الخزنة الأمريكية التي تمول الميزانية الأمريكية)، كما هي لم

ترحب بمنح الولايات المتحدة قرض بمبلغ ٥٠٠ مليار دولار لإنقاذها من مأزقها الحالي، مع إشارات "غير رسمية" إلى شروط تطلب تحقيقها في مقابل هذا القرض، وهذا وغيره هو ما يضيق مساحة الخيار والمناورة على الإدارة الأمريكية الجديدة ويضعها في مأزق حقيقي.

ووفقاً للمعطيات المتوفرة عن ما يجري حتى كتابة هذه الدراسة، فإن إدارة أوباما لأزمة تراجع الولايات المتحدة ستقوم على المحاور التالية:

أولاً: على المستوى الداخلي

لا شك إن إدارة أوباما ستحدث تغييرات هيكلية في نمط الإدارة السياسية للحكم، إذ مؤشرات المفاوضات حول التعيينات الأساسية في إدارة أوباما، تشي بأنها ستكون أقرب إلى تشكيل نمط من الحكم "المتقارب أو المشترك" بين الجمهوريين (من غير جماعة المحافظين الجدد) والديمقراطيين، أو لنقل إننا أمام سابقة متميزة في التاريخ الأمريكي هي أقرب إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية لمواجهة الأخطار التي تتعرض لها الولايات المتحدة حالياً، والتي تستدعي الخروج بدرجة أو بأخرى عن الحالة الحزبية التقليدية، وعلى المستوى الاقتصادي ستعكف إدارة أوباما على إعادة دفع الاقتصاد الأمريكي مع الحرص على تقليل الآثار الاجتماعية التي أصابت المجتمع الأمريكي، وهو ما لا يمكن أن يتم دون تعظيم دور الدولة في إدارة الاقتصاد، وفي كل ذلك ليس أمام إدارة أوباما سوى التراجع عن كثير مما نتج عن حكم الإدارة السابقة في مجالات الحريات لإعادة دفع دورة الحيوية داخل المجتمع الأمريكي، وهنا فإن القضية الأصل التي تهم المتابعين لما يجري (من خارج الولايات المتحدة) هي أننا أمام ولايات متحدة سترکز قدرأ مهمأ من جهدها على مواجهة الأزمات

الداخلية، وهو ما سيؤثر _ على نحو أو آخر _ على دورها وسياستها الخارجية على الأقل لأن المجتمع الأمريكي يحتاج إلى نمط من التغيير في ثقافته وأنماط حياته للتعاطي مع المتغيرات الجديدة. بما سيصعب مهمة إدارة أوباما.

ثانياً: على مستوى الوضع الدولي

لا شك إن إدارة أوباما ستحاول الخروج من المأزق الراهن عبر التسليم بمعطيات الوضع الدولي الجديد وفق حالة مراوغة تضمن إتاحة الوقت اللازم لإعادة إطلاق قوة الولايات المتحدة، لقد طرح أوباما فكرة الحوار كما إن الدول الأخرى راغبة في الحوار مع الولايات المتحدة، لكن باتجاه تقليص هيمنتها وسيطرتها على العالم، وفي ظل المعطيات الراهنة وأفقه المنظور ليس أمام إدارة أوباما إلا العودة إلى الشعارات الأمريكية القديمة المتعلقة بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان وفق نمط تبشيري ودون الدخول في صراعات في داخل الدول كما فعل بوش، كما ليس أمامها في إدارة النزاعات الدولية الراهنة إلا الوصول إلى نمط من الموائمة بين المصالح الأمريكية ومصالح الدول الكبرى الأخرى والدول الإقليمية في كل منطقة من مناطق العالم من أجل تطوير وإصلاح الأوضاع في الداخل الأمريكي أولاً، وتقليص مساحات الصراع الجارية لغير مصلحة الولايات المتحدة، كما سيضطر أوباما إلى إخلاء بعض مساحات النفوذ التي تتعرض فيها الولايات المتحدة إلى صراعات تستنزف قوتها وقدرتها وطاقاتها، دون إنهاء الوجود الأمريكي، أي إنه سيلجأ إلى مخطط لتسكين الصراعات بانتظار عودة القوة الأمريكية للاندفاع مجدداً.

(٥) خيارات المقاومة

المقاومة مثلها مثل كل تعبير عن مصالح مجتمع (سواء كان التعبير من خلال

دولة أو من خلال حركة تحرير) تتحدد استراتيجيتها وفق نفس الأسس التي سبق الإشارة إليها من قبل.

فأهداف المقاومة في التحرير والبناء واستراتيجيتها هي خلاصة كلية لأفكار وعقائد وأهداف ومصالح المجتمع الذي تدافع عنه، كما يجري تشكيل أطرها ومحدداتها من خلال ثوابت الأمن القومي للمجتمع ومهدداته الثابتة.

والمعنى أن استراتيجيات المقاومة مثلها مثل كل الكيانات والمؤسسات والدول، لا تتحدد وفق سياسات الخصم أو التغييرات الجارية فيه _ إلا في جانب طرق المواجهة وأدواتها _ ولا تتأسس على علاقاتها بهذا الطرف أو ذاك، بل على الأفكار والرؤى والمصالح وثوابت الأمن القومي لمجتمعها وأمتها. وفي ذلك ينطبق كل ما ذكرناه حول محددات التغيير الحادث في الولايات المتحدة على حالة المقاومة، ومع ذلك هي في حاجة للتدقيق الشديد في التغييرات الحادثة لدى خصمها باعتباره يحتل الأرض ويتواجد بقوته العسكرية ويقاوم المقاومة، لكن ذلك يظل في حدود ذات وضعية الثوابت ويظل في حدود تغيير السياسات.

وإذا كانت الخلاصة في رؤية التغييرات الحادثة مع مجئ أوباما، هي أننا أمام تراجع للولايات المتحدة مع تقدم لأقطاب دولية أخرى وأمام انفتاح مساحة واسعة في الوضع الإقليمي، وأمام أزمة اقتصادية في الداخل الأمريكي.. الخ، فإن مسألة تغيير أوضاع الولايات المتحدة لا تعني "أوتوماتيكياً" ضعفها وتراجعها أمام المقاومة، أو انسحابها من مناطق الاشتباك بل قد يعنى العكس في بعض الأحيان!.

لقد تراجعت بريطانيا وفرنسا عقب الحرب العالمية الثانية، وقبلت بقوة

ونفوذ دول جديدة على المسرح الدولي (أمريكا وروسيا)، لكن البلدان خاضت عدواناً على مصر بعد ذلك بعدة سنوات!.

والقصد هنا هو أن ما يحمي المقاومة من الانزلاق إلى تقديرات خاطئة هو تمسكها باستراتيجياتها والثبات عليها في إطارها العام، مع قراءة المتغيرات في قدرة الخصم وفي الوضع الإقليمي والدولي، لتحديدات التغيرات المقابلة في سياساتها وفقاً للتحديات الجديدة التي تطرحها تلك الأوضاع المستجدة.

وإذا كانت المقاومة مطالبة بإجراء تغييرات في خططها السياسية _ وفق المتغيرات الجديدة التي عنونها وصول أوباما وجوهرها تراجع أزمة الولايات المتحدة _ وإذا كان ذلك لا يعني إجراء تغييرات في استراتيجياتها فإن الإطار العام لهذا الوضع الدولي الجديد للولايات يفرض التحول إلى نمط أعلى من الهجوم على الولايات المتحدة لا العكس وفقاً لحسابات الأوضاع وتوازنات القوى الجديدة، حيث المعنى العام لتقدير الموقف هو أن المقاومة قد انفتحت أمامها مساحات لتعزيز عوامل قوتها وتطوراتها، ولتكتشف ضغوطها على الخصم الاستراتيجي، كما الإطار العام لهذه التغيرات بات يتطلب التحرك في الإقليم وفق حسابات أشد تدقيقاً وأكثر ديناميكية، والوضع في الاعتبار طبيعة التحديات المستجدة في داخل العراق نتيجة وصول أوباما للحكم في الولايات المتحدة.

وبصفة أكثر تحديداً تبدو المقاومة في المرحلة الراهنة أمام أوضاع جديدة وخيارات يمكن تلخيصها في التالي:

(١) إن مساحة سياسية واسعة في العلاقات الدولية قد انفتحت أمام المقاومة للاعتراف بها وبدورها، بما يغير أوضاعها السابقة (الخانقة) التي كانت تعيشها

في ظل هيمنة الولايات المتحدة على القرار الدولي، بما كان يمنع بعض الدول الراغبة في تطوير علاقتها بالمقاومة أو في الاعتراف بها، من الإقدام على ذلك، وهو ما يتطلب طرح المقاومة رؤية سياسية وإعلامية تمكنها من "التلاقي" مع تلك القوى والحصول على دعمها أو تطوير مواقفها من المقاومة، خاصة وإن قوى دولية باتت راغبة الآن في الإفصاح عن مواقف أعلى من السابق في تعزيز المقاومة العراقية، لقد شهدنا روسيا تهدد بتحويل أفغانستان إلى فيتنام أخرى في معرض صراعها ومساومتها مع حلف الأطلنطي على جورجيا، وهو أمر يقدم نموذجاً على درجة جرأة قوى دولية على دعم المقاومة في بلد ما، إذا اقتضت مصالحها ذلك.

(٢) وفي الوضع الراهن يبدو المشهد الإقليمي متحرراً من الضغط والدور والنفوذ الأمريكي على نحو أعلى ومنفتحاً أكثر على قوى دولية متعددة، وهو ما يستدعي إعادة دراسة الأوضاع الإقليمية وتطوراتها، وفي ذلك يبدو أن المقاومة باتت مطالبة بالانفتاح على تطورات الوضع الإقليمي على نحو أكثر جرأة، سواء بعوامله السلبية باعتبار أن بعض القوى الإقليمية تأخذ موقفاً مضاداً من المقاومة، أو بعوامله الإيجابية إذ بعض الدول الأخرى تصبح أكثر انفتاحاً على المقاومة بحكم مصالحها في مواجهة نفوذ ودور الدول المضادة للمقاومة (إيران) وخاصة في ظل احتمالات الحوار الأمريكي مع إيران.

(٣) وعلى المستوى الداخلي فإن مجيء أوباما للسلطة في أمريكا قد أوجد بدوره تحديات في مواجهة المقاومة في داخل العراق يمكن تحديد إطارها العام في التالي:

التحدي الأول: هو عودة الولايات المتحدة إلى لغة الخداع الأرقى، وهي

اللغة التي تستخدم وسائل القوة الناعمة _ مع قلة الاعتماد على القوة العسكرية الصلبة _ وفي ذلك يبدو الأمر واضحاً من الآن، إذ يلفت الانتباه ما يجري في إقرار الاتفاقية الأمنية من دعاية مكثفة حول فكرة جدولة الانسحاب، وانسحاب قوات الاحتلال من المدن وكلها تقدم تغطية لاستراتيجية أوباما، وبما هو أعقد من تلك التي كانت في ظل إدارة المحافظين الجدد ومرحلة الاستخدام الكثيف للقوة العسكرية.

التحدي الثاني: ويتمثل في تصعيد الدور الإيراني داخل العراق، وانتقال فكرة شراكة الاحتلالين إلى حالة أعلى، حيث الحوار الأمريكي الإيراني يعني تحديداً الوصول عبر المساومة إلى تثبيت أوضاع السيطرة على العراق (ضمن المساومات حول الملفات الإقليمية الأخرى)، وفي ذلك يبدو أن المقاومة مطالبة بوضع هذا الأمر في الاعتبار، أو بالدقة تصبح مطالبة بتصعيد موقفها الداخلي والعربي والدولي ضد إيران، إذ الحوار القادم ستكون نتائجه لمصلحة إيران وحلفائها _ مقارنة بالوضع السابق _ كما سيشمل على نحو ما عدم تعرض إيران لخطر عدوان أمريكي بما يرفع الحرج عن مهاجمة إيران في وقت تهاجم فيه من قبل أعداء الأمة.

التحدي الثالث: إن توقيع الاتفاق الأمني وما يرتبط به من "سحب" القوات الأمريكية إلى قواعد محددة، وتغطية كل اعتداءاتها بشكل واضح من قبل الحكومة التي شكلها الاحتلال سيعني ضرورة التدبر في كيفية التعامل مع هذا الوضع العسكري المحدد على الأرض العراقية، وتحديد أطر أكثر فعالية في التعامل مع الحكومة الحالية التي تصبح في واجهة الأحداث أكثر من ذي قبل،

خاصةً وأنها تتحرك الآن _ كما هو الحال في تشكيل مجالس الإسناد _ لتدعيم نفوذها وطرق حمايتها في الشارع العراقي.

التحدي الرابع: هو تحدي النتائج السياسية للعمليات الانتخابية التي ستجري خلال المرحلة القادمة، والتي تستهدف تعزيز وضع المرتبطين بالاحتلال في السلطة والمجتمع، وفي ذلك يبدو أن الأمور تتطلب حواراً أعمق بين فصائل المقاومة والحاضن السكاني لها.

ماذا في انتظار الرئيس . . ؟

محمد رشيد

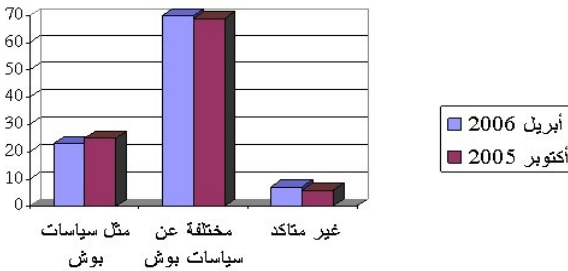
ماذا في انتظار الرئيس . . ؟

محمد رشيد

"إن الرئيس سيضطر إلى حمل
عشرات من المشاعل الملتهبة
بنهاية موكب التنصيب"
(ديفيد دريهل)

حالة اعتراف

أصبح فشل حقبة بوش محل إجماع الأغلبية المطلقة من السياسيين والرأي العام العالمي (ما عدا بعض أصدقائه الحميمين في منطقتنا الذين ما برحوا يتغزلون به والذين يتهيئون للارتقاء في حضيض الرئيس الجديد بدلع وغنج)، بل هو ما يراه الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية منذ فترة ليست بالقصيرة ففي استطلاع قام به "مركز بيو" بالمشاركة مع "مركز برينستون لأبحاث الرأي العام" لآراء (١٥٠١) مواطناً أمريكياً بخصوص الانتخابات الرئاسية في الفترة من (٧ أبريل وحتى ١٦ أبريل ٢٠٠٦م بهامش الخطأ ٣%)، ونشر على الموقع الرسمي الأمريكي "تقرير واشنطن"، وكان السؤال (هل تريد من الرئيس الأمريكي القادم أن يتبنى سياسات مشابهة لتلك التي يتبناها الرئيس الحالي



جورج بوش؟ أم تريد
رئيساً تختلف سياساته
عن سياسات جورج
بوش؟)، فكانت
إجابة ٧٠% أنهم غير

راغبين بسياسة بوش.^(١)

كما كشفت استطلاعات رأي أجراها (معهد غالوب) عن أن الرئيس بوش حصل على أعلى معدل رفض شعبي من بين الاستطلاعات التي أجراها المعهد على امتداد ٧٠ عامًا، ومما لا شك به أن تلك المعدلات قد زادت وتضاعفت خصوصاً بعد الأزمة المالية الأخيرة.

الشهود

وهو بلا شك أيضاً رأي الغالبية العظمى من المفكرين الأمريكيين ومنهم الصحفي الأميركي الشهير (بوب ودوورد) في كتابه (حالة إنكار) الصادر في أواخر شهر (سبتمبر/أيلول ٢٠٠٦م)، ويغطي الكتاب مساحة واسعة من الزمن تمتد من أواخر عام ١٩٩٧م حين بدأ (جورج دبليو بوش) في التفكير في ترشيح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة، وتصل إلى (يونيو/حزيران ٢٠٠٦م) وقد دخلت إدارة الرئيس جورج بوش دوامة أخطاء حرب العراق حيث بدا لها أن استراتيجيتها تجاه العراق مليئة بالعيوب والأخطاء ومع ذلك يصر كبار مسؤوليها على عدم الاعتراف بتلك الأخطاء منخرطين في (حالة إنكار) غير منطقية انطلاقاً من أهداف دعائية سياسية.^(٢)

وهو أيضاً رأي غالبية السياسيين الأمريكيين (الجمهوريون منهم والديمقراطيون)، حيث اعترف خمسة من وزراء الخارجية السابقين وهم كل من (كولن باول ومادلين أولبرايت ووارن كريستوفر وجيمس بيكر وهنري

(١) تقرير واشنطن العدد ٥٦، ٢٧ أبريل ٢٠٠٦م

(١) حالة إنكار/علاء بيومي/الجزيرة نت

كيسنجر) في نقاش بعنوان (الرئيس القادم ... عالم من التحديات) أدارته رئيسة المراسلين في الشبكة الإخبارية الأمريكية (سي أن أن CNN كريستيان أمامبور) ومدير مشروع العلاقات العامة في (جامعة جورج واشنطن فرانك سنو)، أن صورة الولايات المتحدة الأمريكية قد تشوهت كثيراً خلال حقبة بوش وعلى الرئيس الجديد استعادة الاحترام للولايات المتحدة الأمريكية في العالم.^(١)

وليس السؤال المطروح الآن حول تلاشي بوش وحقبته الفاشلة ولكن الحديث الذي يدور حول تلاشي الحقبة الأمريكية بأكملها وبداية ظهور عالم جديد بعيد عن الهيمنة الأمريكية، وهذا ما تحدث عنه الكثيرون منهم (فريد زكريا) رئيس تحرير الطبعة الدولية لمجلة (نيوزويك) الأمريكية في كتابه (العالم بعد أمريكا) والذي يستعرض فيه التحولات الهائلة التي تقع في العالم اليوم وصعود كثير من دول العالم وانتقال مراكز القوة إلى تلك الدول شيئاً فشيئاً على حساب أمريكا، وأن التحدي الكبير الذي تواجهه الولايات المتحدة الأمريكية في القرن الواحد والعشرين هو تدهور نفوذها السياسي بعد زيادة النمو الاقتصادي لهذه الدول النامية، ولهذا فإن الدور الرئيسي الذي تضطلع به أمريكا سيتعرض حتماً للانكماش والانحسار.^(٢)

وهذا ما يذهب إليه الوزراء (كولن باول ومادلين أولبرايت ووارن كريستوفر وجيمس بيكر وهنري كيسنجر) على أن التحدي الرئيسي للسياسة

(١) موقع الجوار الالكتروني

(٢) راجع العدد "١٦٥" من تقرير واشنطن ٢٨ / يونيو ٢٠٠٨ م.

الخارجية أمام الرئيس الأمريكي القادم هو استعادة الولايات المتحدة الأمريكية صورتها في العالم.^(١)

وهو ما يتحدث عنه (مايكل كلار Michael T. Klare) الأستاذ في معهد (أمهرتس في هامشاير) مؤلف كتاب (Shrinking Planet the Rising Powers) يقول: تتوافق تحاليل جون ماكين وبارك أوباما (New Geopolitics of Energy) يقول: تتوافق تحاليل جون ماكين وبارك أوباما للصعوبات التي تواجهها الولايات المتحدة في العديد من النقاط، إذ أنهما يصران على الكثير من التهديدات التي تواجه أمريكا في العالم ويشددان على عدم كفاءة إدارة جورج بوش لمواجهتها ويدعوان إلى تغيير جذري للاستراتيجيات.^(٢)

وفي كتاب صدر حديثاً عن دار نشر (تايمز بوكس) تحت اسم (ثمن الحرية _ الدفع لحروب أمريكا) لمؤلفه (روبرت هورماتس) مستشار وزير الخارجية الأمريكية السابق (هنري كيسنجر) للشؤون السياسية والاقتصادية وفيه يتحدث (هورماتس) بياس وقلق شديدين حيث يقول: (إن الشعب الأمريكي يدفع حالياً ثمن عقدين من الأخطاء، لكن الثمن الأعلى هو ما دفعه الشعب الأمريكي على مدى السنوات الست الماضية وتحديداً جرّاء أخطاء الرئيس الأمريكي الحالي (جورج بوش) في تعامله مع الحروب الأمريكية الحالية، وهي الأخطاء التي ستكلف الأجيال القادمة من الشعب الأمريكي ثناً باهظاً، وهو

^(٣) موقع الجوار الالكتروني

^(١) لوموند ديلوماتيك أكتوبر ٢٠٠٨م النسخة العربية.

التمن الذي سيكون لازماً على أطفال وأحفاد الجيل الحالي من الأمريكيين دفعه). (١)

كل هذا وتداعيات الكارثة الاقتصادية وحالة الركود الاقتصادي التي من المتوقع أن تسود العالم فضلاً عن أمريكا لازالت في طور التشكل ونتائجها وتداعياتها بدأت بالظهور مما قد يساهم بصورة أكبر في زيادة وتضخيم كل المصاعب التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية في حقبة الرئيس الجديد فإذا كانت (حالة الإنكار) هي صفة مرحلة (بوش) المنقرضة فإن المرحلة القادمة لابد أن تكون (حالة اعتراف)، وعلى الرئيس الجديد مواجهة الواقع من أول يوم والاعتراف أن عليه وعلى إدارته وعلى الأمريكيين جميعاً الاعتراف بحجم الأخطاء والكوارث التي ارتكبت في عهد (بوش) ومن ثم عليهم أن يمنحوا أنفسهم فرصة المراجعة وتصحيح الأخطاء.

وأخيراً فإن آخر ضحايا حقبة (بوش) الفاشلة هي هذه الخسارة الكبيرة للجمهوريين في انتخابات الرئاسة الأمريكية وما (جون ماكين) إلا آخر ضحايا (بوش).

ماذا في انتظارك أيها الرئيس؟!

يوجز (فريد زكريا) رئيس تحرير الطبعة الدولية لمجلة (نيوزويك) الأمريكية الموقف الذي يواجه الرئيس الأمريكي الجديد قائلاً: (هل يمكننا الآن الاعتراف بما هو واضح؟ سوف تواجه الإدارة التالية مجموعة من التحديات لا مثيل لها في الذاكرة الحديثة، هناك عملية عسكرية جارية في العراق لا تزال تكلفتها تبلغ

(١) الموقع الإلكتروني لأحدث الأخبار العالمية والعربية.

(١٠ مليارات) دولار شهرياً، وحرب ضد حركة طالبان في أفغانستان وباكستان لا نحرز فيها تقدماً ولن يسهل الفوز فيها، كما أن إيران وروسيا وفنزويلا تشكل تحديات استراتيجية صعبة هذا خارجياً، وأما داخلياً فستتطلب خطة إنقاذ وإصلاح القطاع المالي سنوات ومئات المليارات من الدولارات، وكلفة العناية الصحية إن لم يتم تقليصها ستؤدي إلى إفلاس الحكومة الفيدرالية، كما أن مسائل الرعاية الاجتماعية والهجرة والبنى التحتية المتداعية والنظام التعليمي ستزداد كلها سوءاً إن لم تتم معالجتها قريباً.

والحكومة الأمريكية عاجزة عن تحمل أعباء إضافية إذا أخذنا بعين الاعتبار التخفيضات الضريبية التي أقرها بوش، وحاجات الأمن القومي وحربي العراق وأفغانستان وخطة الإنقاذ، تبدو الميزانية في حالة يرثى لها، فضلاً عن ذلك وفي غضون بضع سنوات سيبدأ جيل مواليد ما بعد الحرب العالمية الثانية بالتقاعد ويتسبب بكلفة هائلة ومتزايدة (بالتريليونات).^(١)

وترصد (رويتزر) كل تلك التحديات التي تواجه الإدارة الأمريكية الجديدة على لسان أكثر من سياسي أمريكي: (يواجه الرئيس الأمريكي القادم قائمة مثقلة من تحديات السياسة الخارجية من الحرب في أفغانستان والعراق والأزمة المالية العالمية إلى الحاجة لتحسين صورة البلاد السيئة على الساحة الدولية، لكن أياً كان ساكن البيت الأبيض فإنه سيواجه عدداً هائلاً من قضايا الأمن القومي حين يسلم له الرئيس (جورج بوش) السلطة، وقال (جيمس لينزي) الذي كان مساعداً للسياسة الخارجية للرئيس السابق (بيل كلينتون) ويعمل حالياً

(١) نيوزويك، العدد ٤٣٣ - ٧/١٠/٢٠٠٨ م.

لحساب جامعة (تكساس باوستن): (يجب أن يكون شعار الإدارة القادمة هو إحذر مما تتمنى لأنك قد تحصل عليه)، وأضاف (الرئيس الجديد الذي سينتخب سيكون عنده صندوق وارد ممتلئ بالسياسة الخارجية وقرارات يتخذها لها عواقب وخيمة على الأمن الأمريكي، وسيرث خليفته الذي يتولى سدة الرئاسة في (٢٠ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٩م) حربي العراق وأفغانستان وجهوداً مكثفة لملاحقة متشددتي القاعدة على الحدود الباكستانية مع أفغانستان، كما إن منع إيران من امتلاك أسلحة نووية وإلزام كوريا الشمالية بوعدها بتفكيك برنامجها للتسلح النووي من القضايا الملحة)، وقال (مارك ليرت) مستشار (أوباما) للسياسة الخارجية: (إن مكافحة الإرهاب والتصدي للمتشددين على امتداد الحدود الأفغانية الباكستانية وقتل أو اعتقال (أسامة بن لادن) زعيم القاعدة على رأس أولويات الأمن القومي)، وقال (ليبرت): (إن تقوية التحالفات الأوروبية سيفيد على جبهات كثيرة منها كسب مزيد من النفوذ مع روسيا)^(١)، ويحذر (ريتشارد أن هاس) رئيس مجلس العلاقات الخارجية الرئيس الجديد قائلاً: (ليس العالم الذي كنت تتحدث عنه في حملتك الانتخابية منذ عام أو أكثر، فالحملة والحكم أمران مختلفان جداً، فبعض الأمور التي قتلها كان من الأفضل ألا تقولها، والأهم من ذلك إن الحملة لم تحضر الناس للأزمة الصعبة الآتية، سوف تمر أيام تتساءل فيها لماذا بذلت كل هذا الجهد للحصول على هذا المنصب؟ مما سيجعل الأمور صعبة جداً ليس فقط كل ما ينتظرك إنما القيود التي سوف تفرض حدوداً على ما يمكنك القيام به فعلاً)^(٢).

(١) رويترز.

(٢) نيوزويك العدد (٤٣٧) تشرين الثاني ٢٠٠٨م

وبالعودة إلى كتاب (ثمن الحرية _ الدفع لحروب أمريكا) لمؤلفه (روبرت هورماتس) الذي يتناول كيفية تعامل الرئيس الأمريكي القادم مع تكاليف الحروب الأمريكية التي كتب الرئيس الأمريكي الحالي (جورج بوش) على أمريكا خوضها، فيقول: (ففي يناير من عام ٢٠٠٩م سيكون على الرئيس الأمريكي القادم أن يرث صراعاً خارجياً شديداً التكاليف وشديد الإثارة للجدل، ومما يزيد من صعوبة الأمر هو أن هناك شريحة كبيرة من الشعب الأمريكي ترى أن الولايات المتحدة الأمريكية ما كان لها أن تخوض حربها الحالية، بل وهناك من يذهب لما هو أبعد مؤكداً على أن أمريكا لن تخرج منتصرة من هذه الحرب، حيث يرى أصحاب وجهة النظر تلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تورطت في حروبها الحالية في مواجهة عدو يؤمن بشدة بفكره الأيديولوجي، كما أن الشعب الأمريكي لا يشعر بأن ما خسرت أمريكا من الأرواح والحريات والدولارات يساوي حقيقة ما يمثله أعداء أمريكا من تهديدات لها).

و يخاطب (ريتشارد أن هاس رئيس مجلس العلاقات الخارجية) الرئيس الجديد محذراً وموضحاً له حجم التحديات التي سيواجهها قائلاً: (أما أنت فسوف ترث في المقابل حروباً في العراق وأفغانستان، وقوات مسلحة منهوكة القوى وموزعة على جبهات عدة، ومعركة عالمية مع الإرهاب، ونفطاً وصل سعر برميله إلى ١٥٠ دولاراً، ومشاعر عداوة قوية لأمريكا، وعجزاً في الموازنة الفيدرالية قد يصل إلى تريليون دولار في عامك الأول، وديناً قومياً يزداد تضخماً وقد يصل إلى عشرة تريليونات دولار، وتباطؤاً اقتصادياً عالمياً سوف يؤدي إلى تفاقم عدم الاستقرار في بلدان عدة سوف تتسلم منصبك بعد

عقدين من انتهاء الحرب الباردة، وما وصفه البعض بالمرحلة الأحادية القطب أصبح من الماضي، فالسلطة الاقتصادية والسياسية والعسكرية في أيدي كثيرة ليست كلها ملكاً للدول وليست كلها حميدة، لا يعني هذا أن الولايات المتحدة ضعيفة بل على العكس، لا تزال هذه البلاد الكيان الأقوى في العالم، لكن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تسيطر، فما بالكم بأن تملّي إرادتها، وتتوقع من الآخرين أن يطيعوها، ثمّة حدود للموارد الأمريكية، وفي الوقت نفسه تعاني البلاد هشاشات خطيرة، لقد خلف إفلاس شركة (إنرون) وسجن أبو غريب وإعصار كاترينا والأزمة المالية فضائح، فقدرة أمريكا على أن تملّي على الآخرين ما يجب القيام به أو على إقناعهم من خلال القدوة تضاعلت إلى حد كبير وانطلاقاً من هذه الخلفية سوف تواجه تحديات خاصة وسوف تجد الكثير منها في الشرق الأوسط الأكبر، ذلك الجزء من العالم حيث تعثر جميع الرؤساء بدءاً بجيمي كارتر ولناخذ على سبيل المثال العراق الذي سيطر على سياسة بوش الخارجية سوف يجد المؤرخون الوقت الكافي لاستخلاص الحكمة (أو عدم الحكمة) وراء شن هذه الحرب المكلفة التي ذهبنا إليها. عملء إرادتنا، الأولويات الآن هي خفض الوجود العسكري الأمريكي تدريجياً، ودعم دمج الأقلية السنية العراقية في المؤسسات الوطنية، وإقناع الدول العربية بمساعدة الحكومة والشروع في حوار مع إيران حول مستقبل العراق ... تشير الأسهم في الاتجاه المعاكس في أفغانستان، تكتسب حركة طالبان مزيداً من النفوذ والوضع الأمني يتدهور وتستشري المخدرات والفساد، ثمّة حاجة إلى مزيد من القوات).

ثمّ يمضي في تفصيل الكثير من التحديات التي تواجه الرئيس الجديد وينتقل

إلى أنواع أخرى من التحديات، كل تلك التحديات تشير حسب رأيه إلى عدم إمكانية الولايات المتحدة الأمريكية على مواجهتها لوحدها ولا بد من إشراك قوى عالمية جديدة في إدارة العالم الجديد!

(هناك تحديات أخرى ملحة بالدرجة نفسها: التعامل مع كوريا شمالية نووية، والعمل لتهدة روسيا المستاءة والصاعدة من جديد، والتوسط من أجل التوصل إلى اتفاق سلام بين إسرائيل وسوريا، واتخاذ خطوات لزرع الاستقرار في البلدان الأفريقية، لا تستطيع أمريكا أن تفعل ذلك بمفردها، فتحديات هذه الحقبة لا تنطلق من دولة واحدة ولا تستطيع دولة واحدة أن تحلها، تعدد الأطراف هو السبيل الواقعي الوحيد والكلمة الأساس هي (الدمج)، يجب أن نشرك قوى كبرى أخرى في تصميم العالم وتشغيله، ثمة فرصة حقيقية لإحراز تقدم، فعدد كبير من القوى الحالية تدرك أنها أمام خيارين إما أن تتعاون في ما بينها وإما أن تدفع ثمنًا باهظًا)، إلى أن ينتهي إلى نتيجة لامناص منها مطلقاً: (يبدو أن السنوات الأربع المقبلة سوف تكون صعبة).^(١)

وصحيفة (كريستيان ساينس مونيتور) الأمريكية هي الأخرى غير متفائلة بمستقبل الرئيس الجديد بسبب أخطاء بوش وانتقدت سياسته في الحرب على ما يسمى بالإرهاب، قائلة إن حرب العراق تكلف الاقتصاد الأمريكي أكثر من ٢٥ مليار دولار شهرياً، وإن الحرب على العراق وأفغانستان ستكلفان الخزينة الأمريكية خمسة تريليونات دولار بحلول عام ٢٠١٧ م، وبالتالي فإن الرئيس الأمريكي القادم سيغرق حتى أذنيه في براثن أخطاء بوش.^(٢)

(١) نيوزويك، الثلاثاء، ٤/١١/٢٠٠٨ م.

(٢) شبكة الإعلام العربية.

ويذكر (ديفيد فون دريهل) في مجلة التايم: إن الرئيس القادم سيرث جملة من المشاكل الشائكة والقابلة للانفجار، بداية من المستنقع العراقي إلى الاقتصاد المتباطئ، ومن التحدي الصيني إلى فوضى الرعاية الصحية، الانتشار النووي إلى الاعتماد على البترول إلى (بعض الأشياء التي لا تتغير أبداً) مثل السياسة الكويتية، إن الرئيس القادم سيضطر إلى حمل عشرات من المشاغل الملتهبة بنهاية موكب التنصيب، ومن المهم معرفة إن كان ذلك الشخص يملك القدرة على هذه المهمة.^(١)

هكذا إذن الجميع يجمع على كارثية أخطاء بوش على كافة الأصعدة الاقتصادية والسياسية (الداخلية والخارجية) والأمنية والتي سيورثها للرئيس الجديد ولكنهم قد يختلفون في وضع سلسلة الأخطار التي تواجه أميركا هل هو الخطر الاقتصادي أم السياسي أم الأمني؟ والجميع أيضاً يؤكدون عمق الخطأ الكبير في العراق وكرثيته ولكن الجميع يركزون على أمرين مهمين بلا شك وهما الخسائر المالية الكبيرة التي تتجاوز العشرة مليارات دولار شهرياً وكذلك الخسائر البشرية، فهل هذين الخطرين هما فقط التي تواجهها أميركا في العراق؟ وكيف ينظر السياسيون الأمريكيون إلى الأزمة الأمريكية في العراق؟.

المآزق الأمريكي في العراق من وجهة نظر أمريكية

قد يستغرب البعض عندما نجد من الأمريكيين من يعتقد أن هناك تقدم حاصل فعلاً في العراق والمقياس الأمريكي لتقدم الوضع أو تأخره يعتمد على

(١) (مجلة التايم بقلم: ديفيد فون دريهل) ١٨ / مارس / ٢٠٠٨ م نقلاً عن جريدة الرياض.

أمريين رئيسيين هما الانخفاض النسبي في الخسائر البشرية من قوات الاحتلال في العراق، فكلما قلّت خسائرهم اعتبروا ذلك مؤشراً لتحسن الأوضاع بالعراق بغض النظر عن ما يحدث على أرض الواقع العراقي والخسائر التي يتكبدها المواطنون العراقيون كل يوم!، الأمر الثاني هو التقدم الشكلي في العملية السياسية في العراق ومن دون أي اعتبار للواقع المعاش على الأرض وعن إفرازات هذه العملية وانجازاتها (وسيتّم توضيح هذا الأمر بشكل واسع لاحقاً)، والذي يدفع الإدارة الأمريكية لذلك أمران أيضاً إرضاء المواطن الأمريكي (الناخب الأمريكي) وإقناعه بصحة السياسة الأمريكية ونجاحها في العراق وتطمين الكونجرس الأمريكي ودفعه نحو التجاوب مع الإدارة الأمريكية خصوصاً في ما يتعلق بالاستحقاقات المالية المطلوبة للحرب هناك، ومع هذا فإن أغلب السياسيين الأمريكيين ناقموا على سياسة بوش في العراق ويعتقدون بكارثية الوضع هناك ولا يعتقدون بصحة أي تقدم سياسي حقيقي هناك، ولعل (ريتشارد أن هاس) من القلائل الذين يعتقدون بوجود تقدم ما في العراق إذ يقول في دراسته "العالم الذي ينتظر الرئيس" موجهاً حديثه إلى الرئيس الجديد (الخبر السار هو أن الكثير من الأسهم في العراق تشير وأخيراً في الاتجاه الصحيح ولن تطغى المسألة العراقية على رئاستك أما الخبر السيئ هو أنك تعرف أن طريقاً شاقاً بانتظارك عندما يكون العراق هو الخبر السار.^(١)

ولكنه وفي نفس الدراسة يقول في إشارة إلى الحكومة العراقية: (نرسل مبالغاً

(١) نيوزويك.

طائلة إلى بعض أبغض الحكومات في العالم، ونعزز موقعها بينما نبقي أنفسنا معرضين لقطع الإمدادات وتقلبات الأسعار).

فأين النجاح إذن؟ ثم يقول في مكان آخر من نفس المقال وهو يتحدث عن احتمال القيام بضربة عسكرية لإيران: (بل إنه يقود إلى انتقام إيراني من الموظفين الأمريكيين ومصالح الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان)، أليس ذلك تعبيراً عن هشاشة الوضع الأمني في العراق بشكل عام وضعف التواجد الأمريكي وهشاشته في العراق بشكل خاص؟!.

وأخيراً لا يمكن إغفال حقيقة كبيرة وواضحة جداً وهي أن المسألة العراقية كانت من أهم العوامل المؤثرة في الانتخابات الأخيرة رغم كونها من المسائل الخارجية التي من المعتاد أن تراجع أهميتها في الانتخابات ولكن المسألة العراقية لم تعد فعلاً مسألة خارجية فقط لتأثيرها الكبير على الشأن الداخلي الأمريكي وعلى الاقتصاد الأمريكي وحتى الاجتماعي ثم أن عالم اليوم لم يعد مثل عالم الستينيات، بدءاً بالتقارب الفكري والتواصل القومي والاجتماعي وبالأخص الثقافي لذا لم يعد يتقبل المبررات القائمة على العنف والدمار والقوة المفرطة وبدأ يتجه نحو عالم من الرفاهية والتعايش وبالخصوص الشعب الأمريكي.

وقريباً من رأي (ريتشارد أن هاس) ولكنه يعترف بأن الحرب في العراق شاقة يقول "روبرت غيتس وزير الدفاع الأمريكي الحالي" في مقابلة له مع "مجلة نيوزويك": (نحن متورطون في حربين شاقيتين للغاية إحدهما في العراق التي تبدو سائرة نحو تحقيق نتيجة إيجابية لاسيما مقارنة بوضعنا السابق، لكن الحرب الأخرى ستكون عسيرة وبطيئة، وهي أكثر تعقيداً لأن دولاً كثيرة

أخرى مشاركة فيها، ليس على الصعيد العسكري فحسب، بل على الصعيد المدني أيضاً، لذا إدارة هذه الحرب أصعب بكثير في أفغانستان).^(١)

بينما نجد بالمقابل على النقيض من ذلك أن الكثير من السياسيين والمفكرين الأمريكيين يعتقدون أن الوضع في العراق (كارثي) ولهم أسبابهم العديدة، بينما يتحدث (جون ماكين) عن أهمية استمرار المعركة في العراق وضرورة البقاء هناك حتى الانتصار: (ضرورة توقف التكهن بأن النصر في العراق بات قريباً، الذي اعتقده أنه يتعين علينا أن ننتظر حتى نحصل على هذا النجاح، ومن ثم نحتفل، ولا يجب توقع ذلك فقط، وعلينا أن نبلغ الشعب الأمريكي أن عملاً طويلاً وشاقاً وصعباً مازال ينتظرنا، إن إدارة بوش أخطأت في تعاملها مع الوضع في مراحلها المبكرة وإنها رفعت سقف الآمال لدى المواطنين الأمريكيين حين كانت تصف المقاتلين في العراق بأنهم "يائسون" وفي "الرمق الأخير"، أعتقد أن هذا كان خطأً وأن النجاح في العراق سيكون خطوتين إلى الأمام وخطوة إلى الوراء)، وأشار ماكين إلى احتمال بقاء الوجود الأميركي في العراق لقرن من الزمان على غرار ما تم فرضه في ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية أو في كوريا الجنوبية إثر الحرب الكورية!.

(علينا أن ننتصر، ستكون عواقب الفشل مريعة، وهزيمة ذات مدى تاريخي وستدفع المتطرفين الإسلاميين إلى أن يعتقدوا بأن العالم ملكٌ لهم وبأن كل شيء ممكن بعد أن هزموا الاتحاد السوفييتي في أفغانستان والولايات المتحدة في العراق، ستتحول دولة العراق إلى مرفأ إرهابي في قلب الشرق الأوسط، ويمكن

(١) نيوز ويك.

أن تؤدي إلى حرب أهلية ثم تتحول إلى نزاع إقليمي، لا بل إلى إبادة جماعية، ستعتقد إيران بأنها مدعوة للسيطرة على العراق والمنطقة^(١).

ويبقى "ماكين" مصراً على البقاء في العراق رغم اعترافه بالأخطاء الفادحة التي ارتكبت هناك: (بعد أربع سنوات من الأخطاء الفادحة فإنه أصبح للولايات المتحدة فرصة حقيقية للنجاح في العراق).^(٢)

بينما ينظر الرئيس الجديد (باراك أوباما) إلى الأمر من زاوية أخرى: (إن إيران هي المستفيد الأكبر الوحيد من حرب العراق التي ما كان يجب خوضها، وتصريح أوباما هذا جاء في إطار حرب انتقادات متبادلة بين سيناتور إلينوي والمرشح الجمهوري جون ماكين، حول آرائهما المختلفة بشأن السياسة الخارجية الأمريكية، كما تأتي في أعقاب انتقادات ماكين له حول تصريحاته الأخيرة التي قال فيها إن التهديدات الإيرانية للولايات المتحدة أقل خطراً من تلك التي مثلها الاتحاد السوفيتي سابقاً، ورد أوباما مهاجماً خلال كلمة له في مونتانا (بأن سياسة بوش - ماكين للحرب في العراق ستجعل من الجمهورية الإسلامية أقوى)، وأضاف قائلاً: (لا مجال للالتباس هنا بإيران المستفيد الأكبر والوحيد من الحرب على العراق التي ما كان يجب إجازتها وما كان يجب أن تشن مطلقاً)، واستطرد قائلاً: (بفضل سياسة جورج بوش فإن إيران باتت

(١) حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٨ م (ترجمة المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية).

(٢) (CNN) ١٣/٠٦/٢٠٠٨ م.

أكبر تهديد للولايات المتحدة وإسرائيل والشرق الأوسط لجيل بأكمله، وجون ماكين يريد أن يضاعف كذلك من تلك السياسة الفاشلة^(١).

لذا فإن الرئيس الجديد يؤثر الانسحاب المبكر من العراق، وهو لم يلبث أن أفهم إيران في ما يلي من خطابه السابق قبل انتخابه رئيساً جديداً للولايات المتحدة الأمريكية (إنها إذا انتظرت قليلاً فلن تضطر للقلق بشأن الجنود الأميركيين المنتشرين في العراق)، فهو قد كرّر نداءه لسحب القوات الأميركية من العراق من دون أن يربط الانسحاب بشرط الوضع على الأرض^(٢)، إضافة إلى أن إيران أصبحت أكثر قوة بعد الغزو الأمريكي للعراق.

ويتكلم فريد زكريا نيابة عن أوباما فيقول: (هدفي مازال يتمثل في إنهاء المشاركة القتالية الأمريكية في العراق وأن أفعل ذلك بصورة سريعة، ففي مرحلة ما سيكون علينا فطم أصدقائنا العراقيين عنا، أعتقد أنه ينبغي أن تكون لدينا خطة تحدد متى نصل إلى تلك المرحلة، فإذا حددنا النجاح بأنه يتمثل في إيجاد عراق يبدو كما لو كان فرنسا أو هولندا، فإن ذلك سيعني أن علينا أن نبقي هناك لفترة غير محدودة وأن نواصل إنفاق ١٠ مليارات دولار شهرياً والإبقاء على ١٤٠٠٠٠ جندياً أمريكياً في حال قتالية في العراق، وهذا أمر غير مقبول ولا هو قابل للاستدامة، علينا أن نقبل تعريفاً للنجاح في العراق يتمثل في طريق وسيط مشوش، أي أن نقبل عراقاً يُكوّن ديمقراطية فيدرالية عاملة بحكومة مركزية وجيش قادر على مواجهة غالبية التحديات التي تواجهه، لقد

(١) واشنطن، الولايات المتحدة (CNN).

(٢) واشنطن تايمز.

ذكر الجنرال بترايوس والسفير كروكر شخصياً أنه بغض النظر عن النجاح الذي نحققه فإنه سيظل هناك مستوى معين من الوجود للقاعدة في العراق وبعض الوجود الإيراني فيه، إذ أن إيران هي جار للعراق، علينا أن نسحب قواتنا من هناك بالكامل، وإذا ما فرضت الظروف ذلك فإننا سنُبقي على وجود صغير من قواتنا في العراق للتصدي للقاعدة ولتدريب الجيش العراقي وحماية المصالح الأمريكية وتوفير المساعدة الإنسانية، ولكن هذا الوجود سيكون صغيراً ومؤقتاً.^(١)

الشهود

ومن المؤكد أن قرار البقاء أو الانسحاب ترك منذ مطلع عام ٢٠٠٨م إلى قرار الرئيس الجديد ولقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز في مارس ٢٠٠٨م وعلى لسان كل من "ستيفن لي مايرز Steven Lee Myers" و "توم شانكر Thom Shanker" : (إلى أن قرار سحب المزيد من القوات الأمريكية من الساحة العراقية سوف يترك للرئيس الأمريكي الجديد، ولفت الكاتبان الانتباه إلى أن الرئيس الأمريكي بوش يعلم جيداً قلق الرأي العام الأمريكي من وضع القوات الأمريكية في العراق والخسائر البشرية الكبيرة التي منيت بها منذ دخولها العراق)، وفي هذا السياق أعد "أنتوني كوردسمان Anthony H. Cordesman" تحليلاً إخبارياً عن التقارير التي أكدت مؤخراً أن عدد القتلى الأمريكيين في العراق وصل إلى أربعة آلاف قتيل منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق في مارس من عام ٢٠٠٣م، حيث أشار التحليل الذي أذاعته شبكة ABC الإخبارية أن

(١) ما ينبغي لأوباما قوله بشأن العراق/مجلة نيوزويك/العدد ٤١٩.

هذا العدد سوف يُزيد من التكلفة الرمزية للحرب في داخل الولايات المتحدة، لأنه من المتوقع أن هذا العدد الكبير من القتلى والجرحى سوف يُزيد من حدة الاستقطاب حول الحرب بين صفوف الرأي العام، وأشار التحليل إلى أن هناك العديد من الموضوعات التي يجب أن تؤخذ في الحسبان عند الحديث عن عدد القتلى الأمريكيين في هذه الحرب، على رأسها عدد الجرحى الأمريكيين، فبالرغم من أن عدد الجرحى قد تخطى حاجز الـ ٢٩ ألف جريح من الجيش الأمريكي إلا أن وسائل الإعلام تركز اهتمامها فقط على القتلى دون سواهم، وهذا بالطبع يُعتبر تجاهل للآثار السلبية التي تتركها هذه الإصابات، فهي بالطبع تجلب على أصحابها آثاراً نفسية واجتماعية سيئة للغاية، وتجعلهم يشعرون بأن حياتهم قد تم تدميرها، ولكن السكوت عن هذا لم يعد مقبولاً داخل المجتمع الأمريكي لذا بدأت وسائل الإعلام الأمريكية بتسليط الضوء على الكثير من النتائج والأضرار الجانبية التي بدأت تخلفها حرب العراق. (١)

يشير "كوردسمان Cordesman" إلى أنه لا يمكن التكهن بالخسائر الأمريكية خلال الفترة القادمة، لأن عملية المصالحة السياسية في العراق من الممكن أن تفشل وهذا بالتأكيد سيؤدي إلى تكبيد الولايات المتحدة مزيداً من الخسائر. وخلاصة الأمر أن النزاع مستمر بشأن البقاء في العراق أو الانسحاب منه لأن أحلاهما مر بسبب الأخطاء الكارثية الجسيمة التي ارتكبتها الإدارة المدنية والعسكرية في العراق منذ احتلاله في عام ٢٠٠٣م ولحد الآن مما جعل المستنقع الدامي في العراق مليء بالتناقضات ومغلف بإعلام متحيز تماماً

(١) النيويورك تايمز في مارس ٢٠٠٨م.

وخادع في كثير من الأحيان ولكن الواقع أقوى من أن يُخفى إلى الأبد وأن حبل الكذب قصير والشمس لا يمكن حجبها بغربال وهاهم كبار السياسيين الأمريكيان يختلفون في الجواب على سؤال واحد.. هل هناك تقدم؟. ففي برنامج "Face The Nation" الذي يذاع على شبكة "CBS" استضاف اثنين من أعضاء لجنة الخدمات العسكرية **Armed Services Committee** في مجلس الشيوخ هما السيناتور الجمهوري "ليندزي جراهام Lindsey Graham" والسيناتور الديمقراطي "جاك ريد Jack Reed"، وفي خلال البرنامج أكد السيناتور الجمهوري "ليندزي جراهام Lindsey Graham" (والذي عاد من زيارة قام بها إلى العراق مؤخراً): إن الساحة العراقية سوف تشهد انجازاً كبيراً في الأسابيع القادمة، خصوصاً على طريق المصالحة الوطنية، نتيجة للضغط الكبير الذي يضعه المواطنون العراقيون على السياسيين هناك (١). ولم يتحقق أي شيء يذكر منذ مارس ٢٠٠٨م لحد الآن بل لعل الأمر ازداد سوءاً على الأقل من الناحية السياسية وبدأت الضغوط الخارجية تتزايد على الحكومة العراقية وبدأ الكثير من الكيانات التي كانت عماد العملية السياسية الحالية في العراق بالتفكك، وعلى صعيد الجبهة العسكرية فيؤكد "جراهام Graham": إنه ما تزال مدن مثل الموصل تشهد معارك كبيرة، أما الجنوب العراقي فهو غير مستقر هو الآخر، والمليشيات (الشيعية) هناك هي السبب الرئيس وراء هذه الفوضى والاضطراب في هذه المنطقة، أما إيران فتبذل جهوداً جبارة من أجل نشر المزيد

(١) برنامج "Face The Nation" / شبكة "CBS".

من الفوضى في العراق بما يخدم مصالحها، حيث ألما ترى (من وجهة نظر جراهام Graham) أن الولايات المتحدة تحقق انتصارات وإنجازات كبيرة على أرض الواقع تضرها وتضر بمصالحها في المستقبل (١). ولكن السيناتور الجمهوري يعود ويؤكد: أن الرؤية الكلية للوضع في العراق تشير إلى انجاز كبير وأداء رائع يقوم به الجنرال "ديفيد بيتراوس David Petraeus" والقوات الأمريكية العاملة في العراق، فعلى الجانب السياسي فقد تمت الموافقة على إعادة البعثيين مرة أخرى إلى الحياة السياسية، بتمرير قانون المصالحة الوطنية، بالإضافة إلى ذلك تم الاتفاق على توزيع العوائد النفطية بين الطوائف العراقية المختلفة، فضلاً عن أن قانون العفو الذي صدر أيضاً يسمح للعديد من السجناء بإطلاق سراحهم، هذا وسوف يشهد العراق انتخابات محلية في أكتوبر المقبل (٢). ولكن أرض الواقع لا تشير إلى ذلك، فقد عادت إلى الزيادة جرائم تفخيخ السيارات وعودة المليشيات وفرق الموت المدربة وقتل المدنيين وتهجير المسيحيين واغتيال الكثير من البعثيين السابقين، ولم يتم الاتفاق على قانون النفط والغاز رغم إلحاح الإدارة الأمريكية والرئيس بوش شخصياً على إبرامه ولم يشهد أكتوبر ٢٠٠٨م انتخابات محلية!

أما السيناتور "جاك ريد Jack Reed" والذي كان وما يزال يرفض الحرب منذ بدايتها فإنه أكد إنه ليس هناك أي تقدم قد حدث في العراق، فهو يرى إن قانون المصالحة الذي تحدث عنه السيناتور "جراهام Graham" لم يفعل على

(١) برنامج "Face The Nation" / شبكة "CBS"

(٢) برنامج "Face The Nation" / شبكة "CBS"

أرض الواقع، كما إن الحكومة المركزية لا تقوم بالمهام المنوطة بها على الوجه الأمثل، والسبب في ذلك _ طبقاً لما أورده ريد Reed _ هو إن الحكومة العراقية تعتقد أن لديها مزيداً من الوقت طالما ظلت القوات الأمريكية هناك تؤمّن لها ما تريد من حماية، وبالتالي يؤكد "ريد Reed" إنه لا بد أن تبدأ الولايات المتحدة في العمل على إعداد استراتيجية خروج منظمة من العراق، ملامح هذه الاستراتيجية سوف تتحدد بناءً على الحقائق على أرض الواقع، ولذلك لا بد من ممارسة المزيد من الضغوط على الحكومة العراقية من أجل أن تقوم بالوظائف التي من المفترض أن تقوم بها من أجل مستقبل أفضل للعراق، مشيراً إلى ضرورة تخفيف الاعتماد الكبير على القوات المسلحة الأمريكية لصالح قوات الأمن العراقية، والعمل على تنظيم خروجها من الأراضي العراقية.^(١)

والحقيقة أن الحكومة العراقية منقسمة فكرياً وعقائدياً و سياسياً وواقعة تحت ضغوط عديدة مختلفة قد تصل في الكثير من الأحيان إلى التهديد بإنهاء وجودها على الأرض، هذا عدا عن اختراقها في الكثير من المفاصل من قبل المخابرات والقوى الإيرانية التي تتناقض مصالحها مع المصالح الأمريكية كما تتناقض مع المصالح العراقية!.

ولكن هل ما تم عرضه للمأزق العراقي من منظور أمريكي رغم تنوعه واختلافه هو كل الحقيقة؟!، أم أنهم يخشون مواجهة الواقع الحقيقي كما هو لا كما يريدوه أن يكون أو هم جاهلوه، أم أن اختلاف مواقع اتخاذ القرار

(١) العدد (١٥٢) ٢٨ مارس/ ٢٠٠٨ م تقرير واشنطن/ محمد الجوهري تحت عنوان: الانتخابات الأمريكية تزيد العنف في العراق.

الأمريكي وتصارعها في بعض الأحيان لها تأثيرها الأقوى على تشكيل القرار السياسي؟.

مفاجآت في انتظار الرئيس

مما لاشك فيه أن العراق سيشهد تغييراً دراماتيكياً خلال الحقبة الجديدة من الإدارة الجديدة برئاسة "أوباما" التي ترفع شعار "التغيير" على فرض أن أوباما سيقوم _ كما يعلن لحد الآن _ بالانسحاب المبكر من العراق "فهل تجد الإدارة الجديدة المخرج السليم من العراق؟ وهل ستغير موازين الواقع على الميدان حسابات الإدارة الجديدة؟، وما هي حقيقة الصراع على أرض الواقع العراقي، وما هي "أوراق اللعبة السياسية" داخل العراق؟، وما هو تأثير التغلغل الإيراني هناك؟، وهل سيكون هناك لقاء أمريكي إيراني في بغداد للبحث عن مخرج أو لعقد اتفاقية أمنية بعيدة المدى مع طهران على حساب مصلحة الشعب العراقي ووحده؟!، مكتفية بحرب واحدة مع المقاومة العراقية؟، أو أن هناك خيارات أخرى أمام الإدارة الأمريكية سيفرضها الواقع وثبات المقاومة المسلحة في العراق؟!، كل تلك الأسئلة ينبغي على "الرئيس الجديد" الإجابة الواضحة عنها.

ولكن الأمر المؤكد هو أن على الجميع إعادة النظر في حساباتهم (الأمريكيون والحكام العراقيون الحاليون، والأحزاب العراقية الحالية بكل انتماءاتها، والإيرانيون ومن هم خارج العملية السياسية والمقاومة العراقية)، وللميدان حساباته الخاصة تفرضها المتغيرات التي بدأت تتبلور على الأرض منذ الآن.

من المؤكد أن الورقة العراقية الأمريكية الإيرانية ترتبط بعدة أوراق "تمتلك إيران اللعب بها" ارتباطاً وثيقاً تؤثر بلا أدنى شك على أي قرار يمكن أن يتخذ بشأنها من الجانب الأمريكي وهذه الأوراق هي:

- القوات الأمريكية داخل العراق "وبالذات في المناطق الوسطى والجنوبية".

- الورقة اللبنانية.

- الورقة الأفغانية.

- الورقة السورية.

- الورقة الخليجية.

- الورقة النووية الإيرانية.

- الورقة الروسية.

كل تلك أوراق متلازمة مع بعضها تستخدمها إيران في التعامل مع الملف العراقي الأمريكي، ولكن مما لاشك فيه أنها على استعداد للتضحية بقسم من هذه الأوراق، ولكن إيران لا يمكن تحت أي ظرف أن تضحي بالورقة العراقية لأهميتها القصوى والكبيرة جداً بالنسبة لها لذا ستفعل المستحيل لتبقي نفوذها السياسي والأمني في العراق وتطوره بما يحقق أهدافها البعيدة في العراق قاطعة أي احتمال لعودة العراق إلى أن يكون أحد القوى المؤثرة في الخليج وفي المنطقة، وعلى الإدارة الأمريكية أن تمنح في ذلك الأمر جيداً وتوازن مصالحها وفق هذه الحقيقة، ولكن ماذا ستواجه الإدارة الأمريكية الجديدة "برئاسة أوباما" على أرض الواقع العراقي؟، ستواجه (مقاومة مسلحة ناضجة) لها

امتداداتها السياسية والإقليمية وتكتيكها المتطور الذي يستوعب ويتلاءم مع المتغيرات الجديدة وستتحرك باتجاهين متلازمين هما:

الأول: الاتجاه السياسي المبني على التعامل مع تغيير الإدارة الأمريكية الجديدة وتصريحها بالرغبة في الانسحاب من العراق، ساعية لكي لا يكون هذا الانسحاب على حساب تضحيات المقاومة طيلة السنوات الست الماضية، ولتجنب رمي العراق في أحضان التغلغلات الإقليمية "وعلى رأسها إيران"، لذا لا بد أن تعتمد إلى الدخول في المفاوضات المباشرة وغير المباشرة مع الإدارة الأمريكية الجديدة في البداية بشكل حذر ومتردد لحين التمرس وكسب الخبرات التفاوضية والاطمئنان، عندها ستتجه بشكل أقوى في المرحلة الثانية من التفاوض.

الثاني: هو الأساليب العسكرية التي تستهدف إثبات وجود المقاومة المسلحة وقوتها في العراق وإرهاق العدو وإرغابه في التنقل والحركة والمطاردة وإجباره على ذلك، وعدم السماح له بالاستقرار لزيادة الكلف المادية لبقاء القوات في العراق، وهي قادرة على تحقيق هذه الأهداف التكتيكية بغض النظر عن حجمها أو حجم القوات المعادية لها؛ فضلاً عن أن هناك مؤشرات توحى بانضمام أطراف جديدة إلى المقاومة المسلحة، كما إن اندماجها في مشروع سياسي واحد مسألة تفرضها هذه المرحلة وأمر لا بد منه لتقوية الجانب المفاوض، ولعل "الإدارة الأمريكية" بما لديها من خبرات سياسية ستختصر الوقت للوصول إلى النتيجة التي لا مفر منها في كل الاحتلالات وحروب المقاومة المسلحة السابقة على مدار التاريخ الحديث والقديم، ألا وهي الجلوس في النهاية إلى مائدة التفاوض وسماع رأي المقاومة والحوار معها، والوصول إلى

اتفاق قد يساعده على إعادة الحسابات وترتيب سلم الأولويات الأمريكي، وعلى رأي "تشارلي بلاك" وهو مستشار كبير لـ "ماكين": الشخص الذي يفهم الحرب ويفهم الجيش وتكون له سياسة خارجية وخبرة دبلوماسية هو الشخص الأمثل لتفادي الحرب، و"أوباما" هو آخر شخص يود خوض حرب، ولعله لا يقع في أخطاء من سبقوه حينما يكون عليه أن يتحمل مسؤولية أية قطرة دم أمريكية إن لم يكن يهتم بالدم العراقي الذي يُراق كل دقيقة في العراق؛ وخيار المفاوضات على العموم هو الخيار الأخير المؤكد أمام الإدارة الأمريكية الجديدة الديمقراطية طال المطاف أو قصر، ولكن من المؤكد أن هذا الاتفاق "بين المقاومة والإدارة الأمريكية لو تم فإنه سيساعدها على الآتي:

● تحقيق وعود الرئيس "أوباما" بالانسحاب السريع من العراق أمام ناخبيه.

● تقليص خسائر الجنود في العراق والتي يعتبرها الأمريكيان من أهم المؤشرات على التقدم في العراق.

● توفير القوات التي قد تحتاجها الإدارة الأمريكية في معاركها المتعددة الأخرى.

● تقليص النفقات العسكرية للمساهمة في حل المشاكل الاقتصادية التي تواجه الإدارة الجديدة.

● تمكّنها من توفير الجهد والانصراف إلى تحقيق التغيير المطلوب في السياسة الداخلية والخارجية الأمريكية.

كما إننا نعرف أن الشعب الأميركي قد أصيب بالسقم والتعب ولم يعد يطبق الحرب في العراق ويتطلع إلى الخلاص، وليس لديه أي استعداد

لمواصلة حرب طويلة مكلفة هناك خصوصاً في مثل هذه الظروف التي تمر بها أمريكا.

أما عن إيران فإنها ستواجه "الإدارة الأمريكية الجديدة" في داخل العراق ولن تنتظرها في طهران من خلال:

- فيلق القدس والمليشيات المسلحة والتابعة لإيران رسمياً.
- التحالفات الاستراتيجية مع بعض الأحزاب والمنظمات والتكتلات السياسية والاجتماعية والدينية العراقية الموالية لإيران.
- المليشيات المتعددة وفرق الموت والفرق الخاصة والعصابات، والتي تدار بشكل مباشر أو غير مباشر من قبل المخابرات والأجهزة الأمنية وغير الأمنية الإيرانية.

لذا ستعتمد الإدارة الإيرانية إلى زيادة التوتر في العراق وزيادة الضغط العسكري والأمني على القوات الأمريكية هناك لإجبارها على الإسراع بالانسحاب من العراق، والشاهد على ذلك أحد أهم القادة الميدانيين للجيش العراقي الحالي وهو اللواء الركن عبد الجليل خلف الشويلي قائد شرطة البصرة السابق، الذي نقل إلى بغداد بعد نهاية "صولة الفرسان" حيث يقول وبالحرف الواحد: (إن ما كان يجري في البصرة "مسرحية أجنبية" بممثلين عراقيين، وإن إيران فتحت "جبهة حرب" على أميركا وبريطانيا هناك قبل وصول قوات هاتين الدولتين)، وأعرب الشويلي في حديث إلى صحيفة الحياة عن خشيته من عودة الجماعات المسلحة من جديد بعد أن أفلتت من يد الحكومة أعداد كبيرة من قياداتهم أثناء صولة الفرسان، إضافة إلى سيطرتهم على ترسانة أسلحة خفيفة ومتوسطة وثقيلة تعادل تسليح فرقتين عسكريتين تخزن الآن في منطقة

الأهوار، والحدود مع الدول الأخرى سائبة لا سيما مع إيران والنفط الخام ومشتقاته يسرق علانية، والثروة الحيوانية تهرب، وفي المقابل تصدر هذه الدول الأسلحة وتفتح معسكرات لتدريب مجرمين على قتل العراقيين، وعلمت بوجود مثل هذه المعسكرات على مقربة من حدود العراق داخل إحدى الدول المجاورة، وصارت العصابات والمافيات تعمل في البصرة علانية بفرض الإتاوات وهي مجهزة بأسلحة تفوق قوة أسلحة الشرطة والأجهزة الأمنية، وكونت قدرات مالية هائلة تقدر بـ ١٨٨ مليار دولار تقوم باستثمارها في إيران ودول خليجية لتكون لها مصادر تمويل ذاتية ثابتة، وللبصرة حدود مع إيران بطول ٢٨٠ كيلومتراً منها ١٨٨ كيلومتراً من المياه، مما يزيد في تعقيدات مهمة ضبطها في ظل الجو والظرف العام الذي يفرض نفسه على البلد، حتى وإن كنا ضبطنا إيرانيين أو وجدنا إيرانيين في شوارع البصرة هل من يأتي للعمل الاستخباراتي أو العسكري يفضح نفسه في وقت تسنح له الظروف للتخفي في غياب أجهزة أمنية فعالة أو قادرة على مواجهة استخبارات دولة مستقرة ولها مؤسستها المختصة، الإيرانيون يعملون وراء أغطية حزبية وشركات عدة توفر لهم أجواء مناسبة ومريحة لدخول العراق والعمل فيه.^(١)

ستعيد "الإدارة الأمريكية الجديدة" اكتشاف الحكومة العراقية الحالية التي كانت تروج لها إدارة بوش في واشنطن لأغراض سياسية وانتخابية، وسيكتشف مدى هزالتها وانقسامها وتخلفها، فضلاً عن فسادها المستحكم؛ بسبب طبيعة تركيبها المبني على المحاصصة العرقية والطائفية، ومن ثم المحاصصة

(١) صحيفة الحياة اللندنية.

الحزبية ومن بعدها المحاصصة العائلية والمصلحية، بعيداً عن كل مواصفات الدولة الحقيقية والمهنية، كما أنها بعيدة كل البعد عن الحكومة التي تفرزها المجتمعات الديمقراطية والمبنية على التنافس الحر لاختيار الأفضلية العلمية والمهنية والنزاهة في كل الوظائف العامة المؤثرة وغير المؤثرة وبعيدة أيضاً عن الميزة الرقابية البرلمانية والشعبية التي تفرضها أيضاً المجتمعات الديمقراطية، ولن تستطيع أميركا أن توجد حكومة موالية لها كما تحب وكما تريد؛ كون قسم من الموجودين حالياً على رأس الدولة والسلطة لهم ولائهم الخاصة "وقسم كبير منها بعيدة بشكل عام عن التوجه الأمريكي"، ولا تربطهم بها إلا مصالح آنية محدودة، وحتى المصلحة السياسية التي تربط البعض منهم مع أميركا، فهي "مصلحة تكتيكية"، وذلك واضح جداً، وأشك في أن الأميركان يجهلون ذلك!، كما أنهم على استعداد لأي بديل يوفر لهم البقاء في السلطة أو يوفر لهم الدعم أو الحماية اللازمة، والحقيقة أن جميع الأطراف المكونة للحكومة العراقية الحالية يعترفون بذلك وعلى رأسهم رئيس الوزراء الحالي "نوري المالكي"، وحينما دعا المالكي _ في مؤتمر الكفاءات والنخب الذي عقد ببغداد يوم ٢٠٠٨/١١/٩ _ إلى إعادة كتابة الدستور بطريقة "موضوعية" تمنح الحكومة المركزية الصلاحيات وليست الحكومات المحلية، قال الناطق الرسمي باسم جبهة التوافق العراقية سليم عبد الله: (إن تصريحات المالكي انعكاس للصراع بينه وبين الكرد بديل أن برهم صالح تحدث بعده في المؤتمر بلهجة أخرى قال فيها إنه ضد المحاصصة وإنه مع الحكومة القوية، ولكن ليست الدكتاتورية، وإنه يرفض الهيمنة والتفرد الحزبي، بمعنى إن المؤتمر كان ساحة خطاب انبرى لها

الجميع للتعبير عما يتصوره).^(١)

ولعل أخطر اكتشافات الإدارة الجديدة التي أتوقع أن يتم كشفها في المرحلة القادمة والتي يتوجب على الإدارة الجديدة الاعتراف به هو فشل العملية السياسية الأمريكية في العراق برمتها سواء من خلال العملية التي صاغتها الإدارة الأمريكية وقام بتنفيذها "بول بربر" عن طريق "مجلس الحكم" وقانون إدارة الدولة أو كل ما تمخض عن مجلس الحكم من نسخ مكررة سقيمة وانتهاءً بحكومة المحاصصة العرقية والطائفية الحالية، والتي تمتاز بالفشل الذريع في كل توجهاتها السياسية والفكرية والاقتصادية والأمنية وأخطر ما أفرزته العملية السياسية الأمريكية في العراق أنها أهدت العراق لقمة سائغة على طبق من ذهب إلى إيران العدو اللدود لأمريكا، ولم تنتج أي نظام حضاري ديمقراطي متطور كما تشيع الإدارة الأمريكية دائماً، وبقت عاجزة مقيدة بقيود المحاصصة والطائفية والعرقية، وقد صرح رئيس الوزراء الحالي "نوري المالكي" في نفس المؤتمر الذي دعا فيه إلى تعديل الدستور بما يتيح توسيع صلاحيات الحكومة المركزية _ مؤتمر الكفاءات والنخب الذي عقد ببغداد يوم ٢٠٠٨/١١/٩ _ (إن الدستور العراقي ربما كتب في أجواء كانت فيها مخاوف، لكننا ذهبنا بعيداً في تكريس المخاوف وتكريس التطلعات، وأضاف المالكي: أستطيع أن أقول إنها (المخاوف) لم تكن موضوعية، وقد وضعنا قيوداً ثقيلة لكي لا يعود الماضي ولكنها كتفت الحاضر وكتفت المستقبل).

مع البيان أن الدستور العراقي الحالي هو أحد الانجازات التي طالما تنطعت

^(١) موقع الملف: ٢٠٠٨/١١/١٠ م

الإدارة الأمريكية بأنه أهم إنجازاتها في العراق، ومن المستحيل إقامة مشروع وطني وحكومة وطنية على أساس من المحاصصة العرقية والطائفية، لتناقض المنطلقات الأساسية لكل منهما لذا ولد الكثير من الإخفاقات على صعيد أداء الحكومة واختيار الوزراء، كما ولد الاحتقانات السياسية المتلاحقة التي هددت بقاء الحكومة واستمرار عملها رغم كثرة الانسحابات منها "وصلت في بعض الأحيان إلى ثمانية عشر وزير منسحب"، ولطالما انعكس هذا التصارع السياسي المحتقن على الواقع الاجتماعي وهدد السلام الاجتماعي بالخطر، ومع هذا أصرت الإدارة الأمريكية على استمرار الحكومة بأداء واجباتها ليس بعيداً عن الأعراف القانونية والدستورية وليس فقط بعيداً عن الممارسات الديمقراطية بل رغم استحالة أداء واجباتها المهنية والسياسية بمثل هذه الأوضاع.

لن تفاجأ "الإدارة الجديدة" حيث أصبحت هذه الحقيقة مؤكدة الآن وهي أن القوات الأمنية العراقية (الجيش والشرطة) يتنازعهما خياران لا ثالث لهما (الخيار الوطني) و(الخيار الحزبي)، وهناك جزء كبير من تلك القوات تابع بشكل أو بآخر، مباشر أو غير مباشر لتوجيهات وتأثيرات وسياسات الأحزاب المسيطرة عليها، والتي لم تتخلص من عقدة الخوف من النظام السابق، وتقمصت سياساته بشكل غريب، وبدوافع معقدة ومتخلفة؛ لذا فهي تصر على أهمية التواجد القوي في كل أجهزة الدولة بشكل عام والأجهزة الأمنية بشكل خاص، وفي النهاية سيكون انتماء تلك الأجهزة موزع على انتماءات حزبية وولاءات طائفية وعنصرية، ونعود إلى الشاهد "اللواء الركن عبد الجليل خلف الشويلي قائد شرطة البصرة السابق" حيث يقول: (شرطة البصرة منقسمة إلى ثلاث جهات الأولى تنتمي علناً إلى المافيات والميليشيات وتمارس

القتل والجريمة بحسب أوامر أسيادها، والثانية تأتمر بأوامر الأحزاب قلباً وقالباً وتنفذ سياساتها وأجنداتها، والثالثة خائفة مستكينة لا حول لها ولا قوة تخشى التصفية في حال السباحة عكس التيار السائد، أولى مهامها كانت تطهير الشرطة من العناصر المسيئة والمرتشية والمنتمية للأحزاب والميليشيات ووجدت دائرتي الجرائم والاستخبارات متهمتين بالقتل والسلب لمصلحة جهات حزبية وميليشيات، فقامت بهيكلتهما على الفور وأصدرت أمراً بنقل ١٠٠٠ شرطي فاسد كمرحلة أولى، ثم ٣٠٠٠ آلاف آخرين واستدعيت ٣٠٠٠ آلاف شرطي موزعين لدى الأحزاب والمسؤولين الحكوميين خارج سيطرة الشرطة ووزعتهم على مراكز الشرطة بطريقة تضمن عدم تكتلهم، وسحبت ٢٥٠ آلية تابعة للشرطة تستخدم لدى جهات ميليشيوية وحزبية وعصابات كانوا يرتكبون الجرائم فيها. بمشاركة الدولة كونها هي التي تدفع رواتبهم ووقود عجلاتهم وتسليحهم).^(١)

وهذا ما يفسر الاحتكاكات المتكررة بين الجيش والشرطة وبين الشرطة والبيشمركة، وفشل الأجهزة الأمنية في معالجة الكثير من الأزمات داخل الكثير من المدن وإخفاقها في مواجهة الميليشيات بشكل حاسم وقوي، كما يفسر احتياجهم المستمر إلى ما يعرف بـ "الصحوات".

ويمكن أن نشهد تطوراً دراماتيكياً كبيراً في بعض صفوف المقاومة المسلحة بما يعيد ترتيب موازين القوى من جديد على أسس جديدة غير طائفية، أو يفرز تكتلات جديدة تساهم في إعادة صياغة عملية سياسية جديدة، ويقوي

^(١) صحيفة الحياة اللندنية.

جبهة الرفض للاحتلال ويعيد ترميم الغطاء الجماهيري للمقاومة، والتي عملت أمريكا بكل إمكانياتها وجهدها _ طوال الفترة الماضية _ على سحبه من المقاومة بطرق شتى.

وأخيراً هناك متغير خطير جداً ستواجهه الإدارة الأمريكية في العراق خلال المرحلة المقبلة ألا وهو "الشعب العراقي" بكل أطيافه وقومياته، وبقدر كون المقاومة حالة فطرية فقد أصبحت الآن مسألة سياسية واقتصادية وذلك بسبب ما قدمنا من فشل السياسة الأمريكية بكل أصعدتها إضافة إلى تعمدتها إهمال مصالح الشعب العراقي الحقيقية وتعمدتها مواجهته بشكل مباشر وقاسي جداً واعتمادها على الفاسدين والمفسدين والسراق، لذا فإن أغلب _ إن لم نقل كل _ ما أفرزته المرحلة السابقة من الاحتلال هو تدمير لكل شيء في العراق، ولا يمكن قياس ما تحقق من بعض الأمور الإيجابية "على افتراضها" على ما تم انتهاكه وتخطيمه وتدميره في العراق من بنية أساسية أو بنية اجتماعية أو دينية أو أمنية، وسيرفض الشعب العراقي في المرحلة المقبلة ويقاوم فكرة التقسيم العرقي والطائفي وسيتمجده بقوة نحو تعزيز الوحدة الوطنية مما يشكل خطراً جسيماً للاحتلال الأمريكي في العراق، لذا لن يكون باستطاعة الإدارة الجديدة الانتصار في العراق "على الأقل ضمن هذه المعطيات المطروحة الآن على الساحة" ولن يكون أمامها حل إذا أرادت أن تحفظ ماء وجهها وإذا كانت جادة فعلاً في عدم إعطاء العراق إلى إيران، وإذا أرادت أن تؤسس لمشروع يمكن أن يقنع العراقيين ويقنع الشعب العربي ويقنع العالم؛ إلا بالجلوس مع ممثلي الشعب العراقي الحقيقيين بكل أطيافهم وأعراقهم وأديانهم وقومياتهم، ومن المؤكد والطبيعي أن تكون المقاومة العراقية حاضرة بقوة في مثل هذه

المفاوضات، كما أن المنتقدين للعملية السياسية الحالية والرافضين لها لابد أن يكونوا حاضرين ليساعدوا على تحقيق هدف الانسحاب المبكر من العراق. وهذا إن حصل سيقضي على أغلب احتمالات التدهور الأمني في حالة انسحاب القوات الأمريكية من العراق ويدعم القوات الحالية ويرفع من جاهزيتها الأمنية، لأن إصلاحها وتقويتها ودعمها سيكون جزءاً مهماً وأساسياً من المفاوضات المتوقعة بالتأكيد، إضافة إلى أن ذلك يحقق الوحدة الوطنية الحقيقية المطلوبة لمواجهة كافة الأخطار الخارجية المحتملة، وسيحصل مثل هذا التوافق الشعبي المتنوع على أعلى دعم شعبي وقومي يمكن أن نتخيله، فضلاً عن الدعم العربي والأممي الرسمي وهو يؤسس لعملية سياسية جديدة واعدة مدعومة من الجميع بعيدة عن المحاصصات الحزبية والعرقية والطائفية بأسلوب حضاري متطور ومتين.

المعركة القادمة

جميع الأمريكان بلا استثناء يقولون إن النصر لم يتحقق وإن النصر في العراق صعب، وذهب "ماكين" إلى حرب مائة عام وهو بهذا يصرح أن المقاومة للأمريكان يمكن أن تبقى مائة عام، وبقت مبرراته ضعيفة بعيدة عن الواقع الذي تعيشه أمريكا ولن تستطيع أمريكا أن تصمد مائة عام، أم أن إدراكها هذا سيجعلها تختصر الطريق وتذهب إلى الصفحة الأخيرة كي تقلص خسائرها المليارية في العراق، فضلاً عن الآلاف من الجنود القتلى والجرحى والمعتقلين، وأنا أتوقع أن هذا الذي سيحصل خلال فترة قصيرة جداً وخلال حكم الإدارة الأمريكية القادمة.

وسيكون هناك الكثير من المتغيرات السياسية على الأرض في العراق سترافق تغيير الإدارة الأمريكية منها:

(١) انحسار وفشل السياسيين المتحالفين مع الاحتلال وفشل العملية السياسية الحالية وانحسار الدعم الشعبي عنهم وفشلهم في الانتخابات القادمة "على افتراض أنها ستكون نزيهة"، وبروز الكثير من التناقضات بين الكتل المختلفة وداخل الكتلة الواحدة أيضاً، وسيتبع هذا بالتأكيد تغيرات سياسية كبيرة في الإدارة العراقية وكذلك في طبيعة العملية السياسية برمتها، فقسم كبير من تلك التوقعات أصبحت لها واقع على الأرض وبدأ الكثير من اللاعبين الأساسيين في العملية السياسية الحالية بانتقادها والإعلان عن فشلها، وبدأت الكثير من البدائل لها تطرح على العلن من داخل العملية السياسية ومن خارجها أيضاً.

(٢) تعاظم الدور الشعبي على حساب الدور الحزبي، وسيكون هنالك حضور للأغلبية الصامتة أو التي زورت إرادتها في المرحلة السابقة من الانتخابات وسيعلو

الصوت المعارض للفساد والطائفية.

(٣) زيادة الدور السياسي المؤثر للكثير من الأطراف السياسية والتجمعات والهيئات الرافضة للعملية السياسية الحالية.

(٤) انحسار المد الطائفي وبروز المد الوطني والشعبي المناوئ للطائفية والعرقية والتعصب الحزبي.

(٥) ازدياد المطالبة بالمشروع الوطني على حساب المشروع الطائفي والعراقي.

(٦) اتساع المقاومة المسلحة للاحتلال وشمولها كل أطياف الشعب العراقي.

(٧) اتساع المقاومة السياسية وازدياد نضوجها السياسي وامتداداتها الاجتماعية واتساع غطاؤها السياسي وتنامي دور القوى الراضية للاحتلال كقوة سياسية مؤثرة في الساحة السياسية، وبروز ممثلين لها وناطقين رسميين باسمها وستحتاج بكل تأكيد إلى تحالفات قوية وممتينة مع جميع القوى الراضية للاحتلال، وقد نشهد جبهات سياسية تضم القوى السياسية إلى جانب المقاومة المسلحة.

ستكون المرحلة القادمة مرحلة "حرب المفاوضات"

نتيجة للضعف التقني والتكتيكي في الإمكانيات التفاوضية لدى الكثير من الأطراف السياسية العراقية، وتعدد أطراف التفاوض وتناقض مطالبهم، لذا لا بد من توفير أرضية وطنية حقيقية تجبر الجميع على تغليب المشروع الوطني الجديد ومصلحة العراق فوق كل المصالح الحزبية والعرقية والطائفية ومكملة لها وتوفير مستلزمات وأدوات ومبادئ التفاوض واستحضارات المعركة السياسية المعقدة والصعبة.

ستعاني أطراف وقواعد المقاومة الكثير من عدم التوافق والانسجام مع مفهوم "المعركة السياسية" بينما ستندفع أطراف أخرى لها، لذا لا بد من تهيئة أذهان قواعد المقاومة إلى أن حرب المفاوضات لا تقل أهمية وخطورة عن المقاومة المسلحة بل لعل واجب المقاومة المسلحة هو إجبار العدو إلى تقبل الأمر الواقع والرضوخ إلى التفاوض وليس العكس، وستواجه المقاومة بعض الصعوبات الفكرية واللوجستية في إدارة هذه المعركة، ومن ذلك أيضاً تقبل فكرة الشركاء الجدد الذين ستفرضهم المرحلة القادمة، ليس لكونهم شركاء في هذا الوطن فقط بل لكونهم سيكونون شركاء في المقاومة وكذلك فكرة المشاركة السياسية.

ولكن أخطر ما يهدد المقاومة في هذه المرحلة "في حالة حصولها" هو وحدة الصف بين القابليين بفكرة المفاوضات والرافضين لها، وكذلك بين القابليين بفكرة التفاوض أنفسهم وحجم تمثيلهم، والقبول بفكرة التخلص من الاحتلال مقابل المشروع الوطني، علينا إذن أن ننتهياً لحقبة جديدة من الزمن العراقي بعيداً عن الاحتلال والتغلغل الأجنبي إن شاء الله، والكلمة الأخيرة للشعب العراقي.

إن الصراع الإيراني الأمريكي على أرض العراق ليس للشعب العراقي فيه أية مصلحة، وبالعكس فهو المتضرر الأساسي من هذا الصراع، ولا بد للشعب العراقي أن يعرف مصلحته ويحدد أعداءه وأصدقائه، ولا بد أن يكون هو المقياس والحكم لوطنية كل الأطراف العراقية، فمن يقترب منه ويدافع عنه وعن استقلال العراق ووحدته بعيداً عن كل أسباب الضعف والتخلف فهو الوطني، فإن ما قدمه العراق وما خسره وما ضحى به كاف، ونهر الدم والأشلاء لا بد أن يتوقف الآن، كما إن التخلف لا بد أن يتوقف لكي تعود للعراق عافيته ويواصل دوره الحضاري الأصيل، وليس هناك سبيل أمامه للخروج من محنته هذه إلا بالوحدة الوطنية والابتعاد عن الحزبية المقيتة والطائفية المتخلفة والعرقية المتعصبة، ولا يمكن أن يكون العراقي عدواً للعراقي من أي طائفة أو دين كان أو عرق، ولا بد أن يعي الشعب العراقي من هم أعداؤه الحقيقيون والمتحالفون معهم، ويستعد ليقول كلمته عبر وحدته الوطنية، ولا سبيل أمامه سوى ذلك، والذي يسعى لوحدة العراق وقوته هو الأقرب والذي يسعى لفرقتنا وإضعافنا هو عدو للعراق وللعراقيين.